



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الشهيد زيان عاشور-الجلفة-

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم التاريخ و علم الآثار.



مسار الأحداث في الجزائر من حادثة المروحة إلى سقوط مدينة الجزائر (1827م-1830م)

مذكرة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المقاومة و الحركة الوطنية

إشراف:

أ.د/ أمحمد قرود

من إعداد الطالبتين:

- مليكة سهيلة نعاس

- ام الخير رزوق

الموسم الجامعي: (1446هـ-1447هـ) / (2025م-2026م)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر

اللهم لك الحمد كله و لك الشكر كله و إليك يرجع الأمر كله على توفيقنا لإتمام هذا العمل المتواضع، و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين، سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

بكل معاني الامتنان و التقدير، نتوجه بالشكر إلى كل من ساهم في إنجاز هذا البحث المتواضع، و نخص بالشكر و التقدير:

أستاذنا المشرف أ.د. قرود امحمد على توجيهاته القيمة و نصائحه السديدة، و دعمه المتواصل الذي كان له الدور الأكبر في إتمامنا هذه المذكرة.

أساتذة قسم التاريخ، على ما بذلوه من جهد في تدريسنا و توجيهنا.

عائلتنا العزيزة، على دعمهم المتواصل، و على إيمانهم بقدراتنا، و توفيرهم كل سبل الراحة.

و لا يفوتنا إلا أن نشكر كل من ساعدني أو قدم لنا يد العون خلال فترة إعداد المذكرة، فلهم جميعا كل التقدير و الامتنان.

الإهداء

الحمد لله عند البدء و عند الختام، فما ختم جهد، و لا تم سعي إلا بفضلته، أهدي و بكل حب بحث تخرجي:

إلى أمي و أبي أحب الناس على قلبي و أعزهم حفظهما الله، إلى "أمي" نبع الحب و الحنان سندي في كل مراحل حياتي بتضحياتها و صبرها، إلى "أبي" الذي دعمني بلا حدود و اعطاني من دون مقابل.

إلى اخوتي: أيوب، فاروق، عبد الرحمن و المختار، سندي في الحياة أدامكم الله ضلعا ثابتا لي.

كما أهدي هذا العمل إلى كل أفراد عائلتي، و كل صديقاتي و زملاء الدراسة، و أخص بالذكر صديقتي " ام الخير رزوق".

إلى كل أساتذتي الأفاضل عبر مشواري الدراسي من مرحلة الابتدائي إلى الجامعة.

مليكة سهيلة نعاس

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه نحمده سبحانه على جزيل عطائه ونشكره على توفيقه الذي رافقنا في كل خطوة حتى بلغنا هذه اللحظة التي طالما حلمت بها بعد سنوات من السعي والاجتهاد.

إلى روح والدي الغالي رحمه الله الذي كان سندي ودعائي الخفي وغرس في الأمل والإصرار فكان حضوره في قلبي أعظم دافع لمواصلة الطريق، أهديك هذا الإنجاز وفاء وحباً لا ينقطع.

إلى أمي الحبيبة نبع الحنان ومصدر الدعاء التي سهرت وتعبت وضحت من أجلي وكان رضاها أعظم زاد في مسيرتي.

إلى إخوتي وعزوتي رفاق دربي وأعمدة حياتي: (طيب، عيسى، مصطفى، نورالدين، الجموعي، كمال)، وإلى زوجاتهم الكريمات وأبنائهم وبناتهم الأحبة كنتم دائما مصدر فرح ودعم وتشجيع فكنتم العائلة التي أسند عليها كلما تعثرت.

إلى زميلة الدرب ورفيقة هذا المشوار "تعاس مليكة سهيلة" التي شاركتني الجهد والتفاصيل وتقاسمت معي تعب الطريق وطموح الوصول شكرا لتعاونك وإخلاصك الذي كان له أبلغ الأثر في إتمام هذا العمل.

إلى أساتذتي ومعلمي الفضلاء الذين أثاروا لي دروب العلم والمعرفة وكانوا قدوة وإلى زميلاتي وزملائي الكرام رفقاء الدراسة والعمل ممن جمعني بهم الأيام والمودة شكرا لكل من شجعني وساندني بكلمة أو موقف.

وإلى كل من وقف إلى جانبي بكلمة طيبة أو دعاء صادق أو مساندة صامته أهديك ثمرة جهدي المتواضعة راجيا من الله أن ينفع بهذا العمل ويبارك فيه.

أم الخير رزوق

قائمة المختصرات

إش: تحت إشراف.

تح: تحقيق.

تص: تصدير.

تع: تعليق.

تعرب: تعريب.

تر: ترجمة.

ج: جزء.

د ت ط: دون تاريخ الطبعة.

د ط: دون طبعة.

د م ط: دون مكان الطبعة.

ص: صفحة.

ط: طبعة.

ط خ: طبعة خاصة.

ع: عدد.

م: السنة الميلادية.

هـ: السنة الهجري

مقدمة

تمتع الجزائر منذ مطلع القرن 16م بمكانة هامة وعظيمة، بصفتها القوة والفاعل الأساسي في حوض البحر الأبيض المتوسط بفضل أسطولها البحري العسكري، مما دفع دول المتوسط الأوروبية إلى السعي لربط علاقات ودية وإبرام معاهدات سلمية معها.

إلا أنه مع مطلع القرن التاسع عشر تغير الوضع وتأثرت العلاقات بينهما سلباً، وازداد عداوة الدول الأوروبية للجزائر خاصة فرنسا التي سعت لغزوها، حيث كانت ترى في الجزائر امتداداً جغرافياً وسياسياً مناسباً لتأمين رغبتها في التوسع مستغلة الظروف الدولية والإقليمية. فتأزمت العلاقات بين الجزائر وفرنسا بازدياد حدة الخلافات بينهما، خاصة بعد حادثة المروحة الشهيرة التي اتخذتها فرنسا ذريعة للبدء في تنفيذ مشروعها الاحتلالي. وضمن هذا السياق التاريخي وتطور الأحداث وتأثيراتها محلياً وإقليمياً، يأتي موضوع مذكرتنا المعنون ب: "مسار الأحداث في الجزائر من حادثة المروحة إلى سقوط مدينة الجزائر (1827-1830م)"، لمتابعة ورصد وتحليل مسار هذه الأزمة وما صاحبها من حصار بحري وحملة عسكرية انتهت بسقوط مدينة الجزائر.

إشكالية البحث

تتمحور إشكالية مذكرتنا حول التساؤل التالي:

- كيف تطورت الأزمة الجزائرية الفرنسية من خلاف دبلوماسي بسيط (حادثة المروحة) إلى مواجهة عسكرية شاملة أدت لسقوط مدينة الجزائر عام 1830م؟

ويتفرع عنها:

- ما هي الأوضاع العامة التي كانت تعيشها الجزائر قبيل الاحتلال؟
- كيف ساهمت قضية "ديون القمح" ودور الوسطاء في تأزيم العلاقات؟
- ما هي مراحل الحصار والتحضيرات العسكرية التي سبقت معاهدة الاستسلام؟

دوافع اختيار الموضوع

وقع اختيارنا للموضوع بدافعين اثنين:

- الأول موضوعي: متعلق بطبيعة الحقبة التاريخية (1827-1830م) كونها تمثل مرحلة الانتقال من السيادة الوطنية إلى وقوع الاحتلال.
- الثاني ذاتي: تمثل في رغبتنا في بحث الموضوع لتوضيح وكشف الرؤية بالنسبة للوقائع والأحداث التي رافقت الحصار والحملة، والتعمق في خلفياته وتفاصيله الميدانية والدبلوماسية.

المنهج المتبع

- للإجابة على هذه الإشكالية المطروحة اعتمدنا على المنهج الوصفي التاريخي كمنهج رئيسي، لوصف الأحداث والوقائع وتتبعها كرونولوجياً بداية من وقوع حادثة المروحة عام 1827م وصولاً إلى سقوط مدينة الجزائر عام 1830م.
- وكذلك المنهج التحليلي الذي حاولنا من خلاله تتبع الأحداث البارزة وتحليلها لأجل التوصل إلى حقائق الموضوع ونتائجه، خاصة فيما يتعلق بملف الديون وتطورات الحصار البحري.

خطة البحث:

بالنسبة للخطة المعتمدة فقد قسمنا الموضوع منهجياً إلى: مقدمة وثلاثة فصول :

الفصل الأول: جاء تحت عنوان " **أوضاع الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي** "، قسم إلى مبحثين، خصص المبحث الأول للحديث عن الأوضاع الإدارية والسياسية للجزائر، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه إلى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

الفصل الثاني: عنون بـ " **مسألة الديون وحادثة المروحة 1827م** "، خصص المبحث الأول للجذور التاريخية لمسألة الديون ودور الوسطاء (بكري وبوشناق)، أما المبحث الثاني فتم التركيز فيه على ظروف ووقائع حادثة المروحة عام 1827م.

الفصل الثالث: أدرج تحت عنوان "من الحصار البحري إلى احتلال مدينة الجزائر (1827-1830م)", حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية، وفي المبحث الثاني سير الحملة الفرنسية على الجزائر و نتائجها. اما المبحث الثالث تناولنا توقيع معاهدة الاستسلام.

الخاتمة: كانت بمثابة الحوصلة العامة حاولنا فيها تقديم الرأي والموقف من خلال تركيز استنتاجات الموضوع المتوصل إليها من خلال مراحل البحث المختلفة.

أهم المصادر و المراجع:

تمت معالجة الموضوع من خلال الاعتماد على مجموعة قيمة من المصادر والمراجع المتخصصة ومنها الدراسات والمقالات، أهمها:

كتاب المرأة للمؤلف حمدان بن عثمان خوجة تقديم و تعريب و تحقيق محمد العربي الزبيري، والذي يُعد من أهم المصادر الأساسية في بحثنا هذا لكون صاحبه عاصر تلك الفترة التاريخية الحاسمة وكان شاهداً حياً على تفاصيلها وأحداثها قبيل الاحتلال. كما استفدنا من مذكرات أحمد الشريف الزهار المحققة من قبل المؤرخ و الكاتب احمد التوفيق المدني. أما عن المراجع، فقد تم الاستناد بصفة رئيسية إلى مؤلفات المؤرخ جمال قنان، وفي مقدمتها كتابه: "العلاقات الفرنسية الجزائرية 1791-1830" و"معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830"، واللذان وفرا مادة علمية ودبلوماسية دقيقة تعرضت بالتحليل لمسألة الديون وحادثة المروحة الشهيرة وغيرها من الخلفيات السياسية. كما تم الاعتماد على كتاب "محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث" للمؤرخ أبو القاسم سعد الله لما يحتويه من إحاطة شاملة بأهم أحداث تلك الحقبة، بالإضافة إلى كتاب المؤرخ محمد العربي الزبيري الموسوم بـ "التجارة الخارجية للشرق الجزائري"، وهو من المراجع الضرورية التي ساعدتنا في تشريح الأوضاع الاقتصادية وحركة المبادلات التجارية للإيالة قبيل الغزو، فضلاً عن الاستعانة بمراجع ومقالات أخرى متخصصة.

الدراسات السابقة:

قد تطرق لهذا الموضوع في مجموعة من رسائل الماجستير ومذكرات الماستر مع اختلاف في زوايا الطرح، ومن أبرز هذه الدراسات التي اعتمدنا عليها: رسالة ماجستير للباحث "مسعودي أحمد"، بعنوان "الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها (1798-1830م)؛" حيث ركزت هذه الدراسة على تتبع الجذور التاريخية للأطماع الفرنسية وتحليل ردود أفعال القوى الكبرى تجاه الغزو، وهو ما أفاد بحثنا في فهم السياق الدولي الذي أحاط ببعثة "بوتان" والمخططات التي سبقت سقوط العاصمة. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر للطالبتين "كيرواني ياسمين وعلاق خولة"، بعنوان "الحصار الفرنسي على الجزائر وموقف الدولة العثمانية (1827-1847م)"، بجامعة 8 ماي 1945 بقالة، والتي تناولت بالدراسة والتحليل تداعيات الحصار البحري والموقف الدبلوماسي للخلافة العثمانية تجاهه، مما ساهم في إثراء بحثنا فيما يتعلق بفترة الحصار التي سبقت الحملة العسكرية.

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر للطالبتين "أشواق قلي وسلمى حشوف"، بعنوان "إستراتيجية التوسع الفرنسي في الجزائر (1830-1900م)"، بجامعة 8 ماي 1945 بقالة؛ حيث تطرقت الدراسة في أجزاءها الأولى إلى المخططات الاستراتيجية والعسكرية التي اعتمدها فرنسا في غزوها للجزائر، وهو ما تقاطع مع بحثنا في جزئية الإنزال العسكري بسيدي فرج والمواجهات الميدانية الأولى.

صعوبات البحث:

واجهتنا في إنجاز هذا البحث جملة من الصعوبات والميادين الوعرة، نذكر منها: طبيعة المادة التاريخية للموضوع: والمتمثلة في تباين الروايات وتعدد وجهات النظر حول أحداث الفترة (1827-1830م)، خاصة في ظل وجود كتابات فرنسية موجهة لتبرير الغزو، مما تطلب جهداً في نقدها وتمحيصها للوصول إلى الحقيقة التاريخية. تشتت المادة العلمية: تطلب البحث جهداً كبيراً في تجميع المادة المتعلقة بملف الديون والوسطاء الماليين (بكري وبوشناق)، نظراً لتوزع معلوماتها بين مراجع اقتصادية وسياسية متفرقة، وهو ما شكل عائقاً في بداية العمل.

ندرة بعض الوثائق المحلية المعاصرة: واجهنا صعوبة في العثور على تقارير رسمية جزائرية مفصلة حول كواليس الحصار البحري، وذلك بسبب ما تعرض له الأرشيف الوطني من نهب وإتلاف إبان سقوط مدينة الجزائر عام 1830م.

صعوبة ضبط المصطلحات والأسماء: واجهنا إشكالاً في توحيد بعض المصطلحات والمسميات الواردة في المراجع المختلفة، خاصة تلك المتعلقة بالرتب العسكرية والتقسيمات الإدارية للإيالة قبيل الاحتلال.

الفصل الأول:

أوضاع الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي

- المبحث الأول: الأوضاع السياسية و الادارية في الجزائر قبيل الاحتلال
- المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في الجزائر قبيل الاحتلال

عرفت الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي جملة من الأوضاع التي مست مختلف جوانب الحياة السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية، حيث كانت البلاد تتميز بتنظيم إداري وسياسي معين، كما شهدت نشاطاً اقتصادياً وحياة اجتماعية تعكس طبيعة المجتمع الجزائري في تلك الفترة. وتكتسي دراسة هذه الأوضاع أهمية كبيرة باعتبارها تساعد على فهم الظروف التي كانت تعيشها الجزائر قبل سنة 1830. وعليه سنتناول في هذا الفصل الأوضاع السياسية والإدارية، ثم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والإدارية في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي الأوضاع السياسية:

مر الحكم العثماني في الجزائر بأربعة مراحل هي:

1. مرحلة البايبربايات 1518-1587م
2. مرحلة الباشوات 1587-1659م
3. مرحلة الآغوات 1659-1671م
4. و انتهت بمرحلة الدايات 1671-1830م¹

تميز الوضع السياسي في الجزائر نهاية حكم الدايات بعدم الاستقرار إذ عاد الجند إلى سابق عهدهم للعصيان و التمرد و اصبحوا يعينون و يعزلون الحكام حسب هواهم و من تلك الفترة لم ينفكوا عن التدخل في الحياة السياسية، و كانت نهاية معظم الحكام القتل و الاغتيال على يد الجند.²

¹ مؤيد محمود حمد المشهداني وسلوان رشيد رمضان: "أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830م"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج 5، ع 16، أبريل 2013م، جامعة تكريت، ص 418.

² عائشة غطاس و آخرون: عائشة غطاس و نعيمة بوحشوش (النظم السياسية و العسكرية)، الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات و الأبحاث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، د ط، الجزائر، 2007 م، ص 59.

و قد ظهرت مجموعة من التمردات والحوادث والثورات بسبب سياسة التهميش وفرض الضرائب وهذه الثورات عجلت بإضعاف حكم الدايات وزواله ومن بين هذه الحوادث والثورات نذكر:

- **حوادث 1792**: تعرض صالح باي الذي كان يحكم المقاطعة منذ 21 سنة إلى سخط الدايا وعزله لفائدة إبراهيم قائد زمالته سابقا إلا انه تعرض لهجوم من قبل حاشية صالح باي وقاموا بذبحه وإعادة الباي المعزول إلى منصبه.
- **حوادث شمالي الأوراس**: كان بعض البايات يعملون على إدخال الفتنة والعداوة بين القبائل التي تسكن منطقة شمال الأوراس وهي ثلاث: الحنانشة والحراكتة والناماشة.¹
- **حوادث مجانة**: أبرز التمرد الواقع في هذه المنطقة كانت نهاية العام 1813، وقضي عليه بعد عام من حدوثه، ومن مخلفات هذا التمرد مقتل الباي نعمان الذي خلفه شاكر باي أثناء المعركة، كما تعرضت مجانة والهضاب العليا إلى قمع رهيب وعلى إثر ذلك عاشت فترة من الزمن تهددها المجاعة والأوبئة.²
- **ثورة الشريف بن الأحرش**: تعد ثورة الشريف بن الأحرش من أبرز الحركات التمردية التي شهدتها بايلك الشرق قبيل الاحتلال الفرنسي، اكتسب الشريف بن الأحرش خبرته العسكرية وشجاعته من خلال مشاركته في معارك الجيش الفرنسي على مصر بين سنتي 1798 إلى 1801³، مما عزز مكانته بين القبائل، أعلن ثورته ضد سلطة الباي بهدف إقامة حكم قائم على المبادئ الإسلامية وجمع عدد كبير من القبائل المتجهة نحو قسنطينة حيث قام بمهاجمة ممتلكات الباي و أحداث اضطرابات واسعة غير أن قائد الدار الحاج احمد بن الأبييض تصدى له باستعمال المدافع وبمساندة سكان المدينة مما أدى إلى فشل ثورته،

¹ محمد العربي الزبيري: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 1972م، ص ص 25 26.

² المرجع نفسه، ص 28

³ ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط02، الجزائر، 2008م، ص 2.

ويرجع فشل هذه الحركة الى التفوق في التنظيم والتسليح رغم ما تمتع به الشريف الأحرش من شجاعة و طموح وفصاحة وقدرته على مخاطبة الناس.¹

رغم حالة عدم الاستقرار التي ميزت هذه الحقبة بوجه عام فقد نجح الدايات الأواخر في أن يعيدوا للسلطة مظهرها القوي وهيبتها، ومن هؤلاء الداوي علي خوجة(1817-1818) والداوي حسين²(1818-1830).³

وشهدت البلاد في عهد الداوي الأخير استقراراً سياسياً إذ دامت ولايته اثنا عشرة سنة، وخلال هذه المدة انصبت جهوده على تنظيم أمور الدولة وتحقيق الأمن والاستقرار حيث قضى على التمردات والثورات الداخلية، لكن الضغوط الخارجية التي جسدتها قرارات مؤتمر

¹ أحمد الشريف الزهار: مذكرات أحمد الشريف الزهار النقيب أشرف الجزائر، تح:أحمد التوفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د ط، الجزائر، 1974م، ص 86.

² الداوي حسين (1818م-1830م): اختلفت المصادر حول تحديد تاريخ و مكان نشأته فهناك من يقول أنه ولد سنة 1773م في أزميز، تولى الحكم بعد وصية صديقه علي باشا سنة 1818م، عمل الداوي على تنظيم الحكم من خلال بذل كل مجهوده غير أنه لم يتمكن من ذلك لعد تمكنه من تقادي الحرب مع فرنسا و برحيله انتهى عهد الإيالة الجزائرية الذي دام أكثر من ثلاثة قرون ينظر الى: الحركة الوطنية(1830م-1900م)، ابو قاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط01، بيروت، 1992م، ج01، ص 19 و "الداوي حسين باشا آخر شخصية عثمانية تحكم الجزائر"، فطيمة الشيخ، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، العدد09، سيدي بلعباس، 2015/09م، ص470

³ الملحق 01

أكس لاشابيل¹ القاضية بإلغاء ممارسة الاسترقاق والتوقف عن ممارسة الغزو البحري والحملة الإنكليزية عام 1824 ثم الحصار الفرنسي، عجلت بالقضاء على الكيان السياسي للجزائر.²

الأوضاع الإدارية:

فما يخص النظام الإداري في عهد الدايات، كان الداوي هو من يمتلك الحق في تسيير شؤون البلاد يساعد في أداء مهامه الإدارية وإصدار أوامره ديوان خاص يتشكل من مجموعة من الموظفين الكبار والقادة العسكريين أهمهم:³

- آغا العرب: أحد أهم الوظائف السامية في الجزائر خلال العهد العثماني، يطلق هذا اللقب على عدة مناصب إدارية وعسكرية أصلها فارسي تعني المسؤولين أو العسكريين، أما في الجزائر فهو لقب أطلق على عدد محدود من الموظفين معظمهم من الجيش ابرزهم آغا الإنكشارية وهو قائد أعلى للجيش وآغا السباهية هو القائد الأعلى للفرسان ومناطق الداخلية آغا العرب يساعد الآغا أربعة وهم باش شاوش وكاهية الباشا وباشا علام أهم آغوات العرب علي آغا (1789م-1791م).⁴

¹ مؤتمر اكس لاشابيل 1818: عقد في سبتمبر سنة 1818 بألمانيا، من طرف الدول الكبرى (انجلترا، النمسا، روسيا و بروسيا) و هو آخر مؤتمر لتسوية القضايا الأوروبية العالقة ضمن جدول أعمالها، كما كانت قضية القرصنة المغاربية ضمن جدول أعمالها من اجل القضاء على القوة البحرية لتجنب الرسوم الجمركية، و انتهى الاجتماع بارسال بروتوكول الى المغرب و تونس و الجزائر لوقف عملية القرصنة كما اطلق عليها الاوروبيين، وافقت عليه كل من المغرب و تونس و رفضته الجزائر. ينظر الى: "المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية 1814-1818" جردان بوعبدالله، مجلة عصور، العدد 34-35، جوان 2017م، ص 388.

² غطاس و آخرون: عائشة غطاس و نعيمة بوحشوش (النظم...)، المرجع السابق، ص 60.

³ بشير بلاح: تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، دار المعرفة، د ط، الجزائر، 2006م، ج 01، ص 16.

⁴ صرهورة يوسف: "مكانة وظيفة آغا العرب في إدارة إيالة الجزائر أواخر الحكم العثماني"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة باجي مختار، ع 02، عنابة، 2022/12/14م، ص ص 809 811

- الخزناجي: هو من المناصب الكبرى في الدولة، المتصرف في خزينة الدولة يقوم بتسليم المداخل ويشرف على الإنفاق ويراقب أمور السكة، يساعده في مهامه المالية أمين السكن وبعض الموظفين من الحضرة واليهود¹ يطلق عليه اسم "الدفدار" و يلي الباشا في الأهمية²
- خوجة الخيل: هو المكلف بمراقبة الحراس وإدارة أملاك الدولة³، و تدخل في اختصاصاته إدارة الحارات والتصرف في المواشي المخصصة لنقل الجيوش والعتاد الحربي يتولى توزيعها على القبائل للاعتناء بها.⁴
- بيت المالجي: أو الناظر على مؤسسة بيت المال، يعد من أهم المناصب في السلطة الجزائرية في العهد العثماني، مهمته تصفية أملاك الأهالي والفئة الحاكمة والجيش الإنكشاري، و صيانة أموال القاصرين والغائبين، ولم تكن ولاية بيت المالجي محددة بفترة معينة ففي الأحيان تكون الولاية قصيرة وكان المنصب يدر أموالا طائلة على أصحابه.⁵
- وكيل الحرج: يراقب النشاط البحري ويشرف على أعمال الترسانة البحرية وينظر في توزيع الغنائم ورغم أهمية وظيفة وكيل الحرج إلا أنها تقلصت صلاحيته إثر ضعف القرصنة واشتداد الضغط الأوروبي على الجزائر وتزايد نفوذ آغا العرب والخبزناجي⁶

¹ ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984م، ص17

² سامح عزيز أتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر:محمود علي عامر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط01، بيروت، 1989 م، ص138.

³ محمد ابن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في البلاد الجزائر المحمية، تق،تح:محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط02، 1981م، ص34.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تق،تع،تح:محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دط، الجزائر، 2006م، ص90.

⁵ عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700م-1830م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ج1، التاريخ الحديث، إش:مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، 2000م-2001م، ص 126 127

⁶ سعيدوني والبوعبدلي: المرجع السابق، ص 17

تم تقسيم الجزائر اداريا خلال العهد العثماني لاربع بايلاكات (مقاطعات)¹:

- دار السلطان: أصغر المقاطعات، تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا ومن ساحل البحر شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا، وتخضع داره السلطان مباشرة لرؤساء السلطة التركية، تنقسم إلى أوطان يحكمها قواد²، خارج هذا الإقليم نجد عددا من القبائل تتبع السلطان رغم وقوعها جغرافيا في باقي المقاطعات وهي إما قبائل محاربة أو تابعة.³

- بايلك⁴ الشرق: يشمل الشرق القسنطيني يمتد من البحر شمال إلى ما وراء بسكرة وواد سوف جنوبا، و من الحدود التونسية شرقا إلى سفوح جبال جرجرة غربا، وهو إقليم جبلي يمتاز بتنوع ثرواته تعتمد الحياة الإقتصادية فيه على الفلاحة وتربيته المواشي أساسا ثم النشاط التجاري، وسكان البايك يتكونون من العرب والقبائل والشاوية، يحميهم قواد وشيوخ يخضعون للباي مباشرة يساعدهم الكتاب يبلغ عددهم حوالي 35 شيخ.⁵

- بايلك الغرب: تأسس بايلك الغرب سنة 1565م تولاه في البداية الأمر بايان واحد يستقر بمدينة مازونة والآخر بتلمسان وكان البايك يتكون من قسمين، وفي سنة 1706 م وحد

¹ الملحق 02

² بلقاسم صديقي وعبلة بن يطو: "الإدارة المركزية والاقليمية بالجزائر العثمانية (1519-1830)، مجلة المفكر، جامعة أبو قاسم سعد الله مخبر المخطوطات وجامعة زيان عاشور، ع01، 2024/05/28، ص 425

³ صالح عباد: الجزائر خلال العهد التركي (1514-1830)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2012، ص281.

⁴ بايلك: beyliks مصطلح عثماني قديم، أخذه العثمانيون عن المغول و السلاجقة، أصله بكلك و هو مشكل من مقطعين "بك" و "لك" و اشتق منه لفظة "بيكلربك" التي تعني أمير الأمراء، و مصطلح بايلك اصطلاحا تعني كل ما هو ملك للدولة و يقصد به في الجزائر حكومة الباي و إدارته. ينظر الى: فارس كعوان: "المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر مصطلحات الباشا، الدنوش، البايك كنماذج"، مجلة مدارات تاريخية، جامعة محمد لمين دباغين، ع خاص، سطيف، 2019/04/30، ص132.

⁵ محمد الصالح بن العنتري: تاريخ قسنطينة، مر، تق: يحيى بوعزيز، دار المعارف للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2009، ص17.

القسمان أصبح يعين عليهما بايا واحدا وأصبحت عاصمته وهران بعد تحريرها سنة 1792م يعتبر الباي في البايلك صاحب السلطة وله جهاز من الموظفين يساعده.¹

- بايلك التيطري: أصغر البايلكات وقد أدخلت عليه تنظيمات عديدة ما بين سنة 1518 م و 1775 م وقد نظمه المرة الأولى حسن بن خير الدين² و قسم البايلك إلى أوطان عاصمته المدية وكان على المدية حاكم تركي يعينه داي الجزائر.³

المبحث الثاني: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية

الأوضاع الإقتصادية:

يمكن التعرف على الحياة الإقتصادية للجزائر قبيل الاحتلال من خلال التعرف على القطاعات الإقتصادية الرئيسية الفلاحة و الصناعة و التجارة.⁴ بالإضافة الى عائدات الجهاد البحري على اعتبار أن الجزائر كانت معروفة بذلك.

وقد تراجعت عائدات الاسطول الجزائري بفعل المعاهدات التي ابرمتها الجزائر مع الدول الأوروبية لضمان أمن تجارتها في البحر المتوسط مقابل بعض الأموال، و لكن بعد ضعف الاسطول الجزائري توقفت الكثير من الدول الأوروبية على دفع الغرامات والهدايا وكانت الولايات المتحدة الأمريكية الأولى التي كفت سنة 1812م عن تسديد ملتزمات ثم تبعها الكثير من الدول الأوروبية.⁵

¹ يحيى بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، دار المعرفة، دط، الجزائر، 2009م، ص45.

² حسن بن خير الدين (1548م-1552م): ولد حسن بمدينة الجزائر و نشأ بين أهلها و تتقف على يد علمائها و قضى جل شبابه في صفوف الجيش الإسلامي، بعد وفاة خير الدين عين السلطان سليمان العظيم حسن بايلر باي الجزائر. ينظر الى أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر و اسبانيا (1492م-1792م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، د ط، الجزائر، د ت ط، ص321.

³ عبد الرحمان جيلالي: تاريخ المدن الثلاث الجزائر، المدية ومليانة، شركة دار الأمة، ط1، الجزائر، 2007م، ص ص 318 319.

⁴ عمار عمورة: موجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة، ط1، الجزائر، 2002م، ص104.

⁵ بلاح: المرجع السابق، ص28.

- **الفلاحة:** تحكمت فيها طبيعة الملكية وكيفية استغلال الأرض، وأثرت فيها ظروف وعوامل مختلفة رغم تنوع المحاصيل بحيث اختصت كل منطقة بإنتاج نوع من المحاصيل حسب الظروف المناخية إلا ان الفلاحة الجزائرية في السنوات التي تلت سنة 1800 كانت تعاني مشاكل وصعوبات عاقت تطورها وازدهارها، وتعود هذه الصعوبات إلى استعمال الفلاحين لأدوات بسيطة واسمدة واساليب ري بدائية، إضافة إلى طبيعة ملكية الأرض التي كانت اغلبها للعروش والبايلك والأوقاف، وكثير من الأراضي الخصبة كانت ملك للأتراك والكراغلة والحضر، ويضاف إلى ذلك الظروف الصعبة التي كان يعيشها الفلاح الجزائري فقط كان معرضا للحملات العسكرية ومهددا من طرف قبائل المخزن المسلحة، كما كان عرضة للأمراض والمجاعات التي كانت تجتاح البلاد بين الحين والآخر، فالرغم أن الزراعة كانت هي المورد المعيشي لغالبية السكان إلا انه نظرا لهذه الظروف نجد أن الكثير من الفلاحين فضلوا تربية المواشي على الاستقرار في الأرض وخدمتها أو الإلتجاء إلى الزراعة المؤقتة والرعي المتنقل، لا سيما في المناطق التي تكثر فيها التمردات،¹ مما وفر ثروة حيوانية ضخمة كالأغنام والماعز والأبقار والخيول حيث اشتهرت بعض الأقاليم الجزائرية بالمحافظة على انواع اصيلة من الخيول العربية، مثل الخيول في الفلينة.²

- **الصناعة:** كانت المدن الجزائرية تضم العديد من الصناعات التي يحق لنا وصفها بالتنوع والتنظيم، اذ كانت موزعة على عشرات النقابات المهنية، تمثل المهن او الحرف، وعلى رأس كل حرف أمين يشرف عليها كأمين فضه وأمين وخياطين... كما كانت كل مهنة تختص بشارع او سوق ينسب إليه³، و قد تعددت الصناعات التي كانت على نوعين:

- محلية يدوية: استمدت تقاليدها من الماضي، تعتمد على إرضاء متطلبات أسواق المدن والأرياف من المصنوعات اليدوية كصناعة النسيج والأقمشة الحريرية...
- الصناعة المعدنية او الثقيلة: التي لم تشهد تطورا ملموسا، والتي كانت لا تتعدى استخراج الملح من سباح وهران، أو بناء بعض السفن الخشبية بالموانئ الهامة أو تحضير البارود

¹ ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830م)، المكتبة الوطنية للنشر، دط، الجزائر، 1979م، ص ص33 34.

² سعيدوني و بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص60 61.

³ المرجع نفسه، ص ص61 62.

و سبك المدافع بمدينة قسنطينة والجزائر¹ ويورد الدكتور ناصر الدين سعيدوني جملة من العوامل حالت دون تطور القطاع الصناعي وتراجعته، من بينها المنافسة الأجنبية وفتح باب الإستيراد الخارجي والإكثار من الضرائب و تحكم النقابات المهنية في الصناع.

- التجارة: يرى الكثير من المؤرخين ان التجارة هي القطاع الإقتصادي الأكثر تأثيرا على الأوضاع المالية و الإقتصادية للدولة الجزائرية الحديثة، بنوعيتها الداخلي والخارجي، فالتجارة الداخلية كانت تتم داخل المدن أو بواسطة الأسواق الأسبوعية والسنوية في الأرياف،² شهد هذا القطاع بسبب السياسة الجبائية ركودا ملحوظا، حيث كانت المواد التجارية المتفرعة عن الفلاحة تهرب عن طريق السوق السوداء، ومما زاد في تدهور الأسواق الداخلية وحال دون ان تتطور تطورا منسجما نحو وحدات تجارية كبرى، و أن هذه الإضطرابات التي شهدتها مطلع القرن 19 حالت دون تأسيس شبكة مواصلات هامة تحد من انطواء المناطق الريفية على نفسها.³

اما التجارة الخارجية فكانت ضئيلة مع الأقطار الإفريقية والإسلامية مقارنة مع الدول الأوروبية رغم العداوة، حيث كان الدول الأوروبية وبالأخص فرنسا، تستورد الموارد الأولية المتوفرة بكميات تجارية كالأصواف و الجلود و الشمع، مقابل تصدير المواد الكمالية والترفيهية كالعطور والمصبرات من فرنسا، والزليج من ايطاليا، و العتاد الحربي من اسكندنافيا، والسكر والقهوة من انجلترا عن طريق جبل طارق.⁴

و بالرغم من تنوع التجارة الخارجية والأرباح التي تدرها إلا أنها كانت تذهب في معظمها إلى التجار اليهود وإلى كبار الموظفين والضباط الاتراك، الذين لم يكن يهمهم تطوير وسائل الانتاج، بقدر ما كان يهمهم جمع ثروات وتكديسها، هذه الوضعية لم تستفاد

¹ سعيدوني ، النظام المالي...، ص ص34 35.

² سعيدوني ، النظام المالي...، ص38.

³ مبارك بن محمد الميلي الهيلالي: تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج03، مكتبة النهضة الجزائرية، د ط، الجزائر، 1964م، ص309 310.

⁴ سعيدوني: النظام المالي...، المرجع السابق، ص40.

منها غير العائلات اليهودية التي كانت تلعب دور الوسيط بين الداي وبين اصحاب الأعمال.¹

الأوضاع الاجتماعية:

أول ما يلفت انتباه الباحث من الناحية الاجتماعية أنه يوجد اختلاف في الآراء حول إحصاء سكان البلاد الجزائرية خاصة في أواخر الفترة العثمانية، حيث بعض إحصاءات تشير إلى أن مجموع سكان كان لا يتجاوز مليون نسمة وإحصاءات أخرى تضخمه إلى عشرة ملايين نسمة، وبالعامل أكثر بالاحتمالات تواردنا نعتبر أن عدد السكان كان يتراوح بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة² يعيش غالبيتهم في الأرياف بينما المدن لا يمثل سكانها سوى نسبة ضئيلة لا تتعدى حسب المعلومات المتوفرة 5% من مجموع السكان³ كان سكان الجزائر يشكلون فسيفساء اجتماعية عكست تنوعها العرقي والديني في العهد العثماني فقد تشكل المجتمع من عدة مجموعات مختلفة، ضمت الأتراك والأعلاج والكراغلة، إضافة إلى الأندلسيين والبرانية واليهود والأسرى الأوروبيين،⁴ وهذا ما جعل المجتمع الجزائري يصنف تصنيفاً هرمياً بحسب أهميتهم وموقعهم في الهرم الاجتماعي من الأتراك والكراغلة والحضر.⁵

أما أهم ما ميز الحياة الاجتماعية منذ أواخر القرن الثامن عشر على مستوى الأحوال الصحية، فهو تردي هذه الأخيرة مما أثر سلباً على نمو السكان وترك آثاراً سيئة على وضعهم الاجتماعي فتضاءل سكان المدن وتناقص سكان الأرياف، مما تسبب في ضعف قوة الأوجاق وتناقص عدد البحارة وندرة الحرفيين والصناع وافتقار المزارع والحقول إلى اليد العاملة، ويعود سبب سوء الأحوال الصحية إلى انتقال العدوى وانتشار الأمراض و الاوبئة الفتاكة التي حدثت في 1812 1816 1819 1822م.

¹ الميلبي: المرجع السابق، ص 310 311.

² ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، (1792-1830م)، البصائر للنشر والتوزيع، ط03، الجزائر، 2012م، ص 39.

³ سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830م)، المرجع السابق، ص 40 41.

⁴ محرز : المرجع السابق، ص 141.

⁵ غطاس: المرجع السابق، ص 04.

يضاف إلى سوء الأحوال الصحية هذه حدوث الكوارث الطبيعية المتمثلة في الزلازل: عنابة عام 1810م، مدينة الجزائر عام 1818م، جهات الأطلس البليدي ونواحي الساحل ومنتجة عام 1825م. بالإضافة إلى الجفاف (1800-1804م) والجراد 1794م والفيضانات التي أدت بدورها إلى تناقص السكان وتضرر الاقتصاد.

هذا واستهل القرن التاسع عشر بكثرت المجاعات حيث وصفت مجاعة 1800م خاصة بانعدام المؤن الأمر الذي اضطر معه الداوي مصطفى باشا إلى استيراد الحبوب من موانئ البحر المتوسط ونفس الإجراء اتخذه الداوي حسين باشا عام 1819م.¹

ولا تكتمل هذه الخطوط العامة للأوضاع الاجتماعية إلا بالتعرض للسلطة القضائية، لارتباطها بالنظام الاجتماعي وتأثيرها عليه، ظلت هذه السلطة تعتمد على الشريعة الإسلامية، مثلها لدى الداوي مفتي وقاضي لكل من المذهب الحنفي الذي يمارسه الأتراك، والمذهب المالكي الذي يتبعه الأهالي، على أن تكون الرئاسة الدينية والقضائية للمفتي الحنفي أو المفتي الأكبر الذي يرشحه الباب العالي نظراً لأن المذهب الحنفي كان يعتبر مذهب السلطة الحاكمة. كما كانت أجهزته مركزة في المدن بينما البوادي والأرياف فكانت قضاياها من اختصاص شيوخها وأهل الرأي فيها.

مما يلاحظ على الجهاز القضائي أنه ظل محافظاً على قسوة أحكامه وعقوبتها وبساطة مرافعاته ومحاكماته، فهي تتم بدون لف ولا استدعاء، وبدون تأخير، اعتماداً على رأي القاضي وأقوال الشهود وفي حالة عدم توفر الحجج تبرا ساحة المتهم، وتؤجل محاكمته شهراً كأقصى مدة.²

عموماً كان المجتمع الجزائري شبيهاً جداً بمجتمع جنوب أوروبا، باستثناء فرنسا، فقد كان الأرستقراطيون في القمة والفلاحون في الحضيض، وبين القمة والحضيض هناك طبقة في

¹ ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، ط02، الجزائر، 2008م، ص ص 359 360.

² ناصر الدين سعيدوني: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800-1830م)، المرجع السابق، ص 51 50.

الوسط، تأثيرها كان ضعيفاً أو لا يكاد يذكر. ذلك لأن تأثير الدين كان أقوى من أي تأثير آخر.¹

من خلال ما تم التطرق إليه، يتضح أن الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي عرفت أوضاعاً سياسية وإدارية واقتصادية واجتماعية شكلت ملامح الحياة العامة آنذاك، وأسهمت في تحديد طبيعة المجتمع الجزائري وتنظيمه خلال تلك المرحلة. كما أن دراسة هذه الأوضاع تبرز الخصائص التي ميزت الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي سنة 1830.

¹ ابو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1996م، ص 247.

الفصل الثاني

مسألة الديون

و حادثة المروحة 1827م

- المبحث الأول: مسألة الديون
- المبحث الثاني: ظروف ووقائع حادثة المروحة

تُعدّ حادثة المروحة، التي وقعت في التاسع والعشرين من شهر أفريل عام 1827م، من أبرز المنعطفات الحاسمة في تاريخ الجزائر الحديث، إذ رسّخت في المخيال الأوروبي صورةً مشوّهةً عن الإيالة الجزائرية، وصفها الفرنسيون بالاستبداد والاعتداء، واتّخذوها ذريعةً رسميةً لتسويغ شنّ الحملة العسكرية التي أفضت إلى احتلال الجزائر عام 1830م. وقد كان هذا الاحتلال من أشدّ الاحتلالات وطأةً وأطولها أمدًا في التاريخ الحديث، إذ امتدّ زهاء قرن وثلاثة عقود، وخلف ندوبًا غائرةً في الذاكرة الجماعية للأمة الجزائرية لا تزال آثارها ماثلةً إلى يومنا هذا.

المبحث الأول: مسألة الديون

مع اواخر القرن الثامن عشر ظهرت قضية الديون، التي لا يمكن تناولها و الخوض فيها دون استحضار اسمين بارزين هما بكري وبوشناق و دورهما فيها.

1. دور اليهوديين بكري وبوشناق في قضية الديون

أ. التعريف ببكري وبوشناق

وفدت عائلة بكري من مدينة ليفورنة الإيطالية إلى الجزائر سنة 1774م واستقرت بها، فرارًا من الأوضاع المعيشية المتردية التي عاشتها في إيطاليا¹، وتتألف الأسرة من الأب الذي يُعرف باسمه الكامل ميشال كوهين بكري، الملقّب بابن زاهوت². ويذكر حمدان خوجة أنّه كان يمتلك دكانًا صغيرًا لبيع الخردوات يقع بالقرب من باب عزون، ومنذ تلك الحقبة ارتبطت محلات بكري بمصالح حسن باشا ومصطفى باشا، فاستطاع أن يجني ثروة طائلة³. وقد رُزق

¹ Eisenbeth, Maurice : **Les Juifs en Algérie, depuis les origines jusqu'à nos jours**, extrait de l'Encyclopédie Coloniale et Maritime, Paris, 1882, p. 159

² أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط03 الجزائر، 1882م، ص14.

³ خوجة: المصدر السابق، ص ص 120-121.

ميشال بكري عددًا من الأبناء، هم: مردخاي، وسلومون، وأبراهام، ويعقوب، ويوسف؛ وقد أسهم الأخيران منهم في تنشيط حركة التجارة داخل البلاد وخارجها¹.

أمّا أسرة نفظالي بوشناق أبو جناح، فقد قدمت بدورها من ليفورنة إلى الجزائر سنة 1723م، وكانت آنذاك معدمة لا تملك من حطام الدنيا شيئاً. غير أنّها ما لبثت بعد استقرارها أن وسّعت دائرة نشاطها، فتنامت ثروتها وارتقت مكانتها الاجتماعية. وقد ارتبط بوشناق بمصطفى الوزناجي باي التيطري (1775م-1795م)²، الذي كان له الفضل في الإغلاء من شأنه، فغدا منذ ذلك الحين رجل أعماله وموضع ثقته، وبه قوّي نفوذه لدى الباي³. ومن أبرز الارتباطات التي رسمت المسار السياسي والاقتصادي للمستقبلي للعائلتين، توطّد علاقتهما بصلة المصاهرة، إذ تزوّج نفظالي بوشناق الحفيد من أسرة بكري الثرية، فكانت تلك أكبر صفقةٍ تعقدها عائلته. وقد تمخّض عن هذه الأحداث تحالفٌ تجاريٌّ بين العائلتين، إذ انضمّ نفظالي بوشناق شريكاً في شركة كوهين بكري وإخوته، وأعيدت تسميتها لتصبح «شركة الإخوة بكري وبوشناق»⁴.

ب. تأسيس الشركة ودورها في مسألة الديون

اختلفت المصادر التاريخية في تحديد تاريخ التأسيس الرسمي لهذه الشركة؛ فقد أرجعه محمد العربي الزبيري إلى سنة 1793م، حين طلبت فرنسا تزويدها بالحبوب لمدة خمس سنوات في الفترة الممتدة بين 1793م و1798م⁵، وهو ما يتّسق مع ما أورده روزي وكارت من أنّ حكومة الإدارة الفرنسية حصلت في تلك الفترة على قروض من الجزائر قُدّرت قيمتها

¹نجوى طوبال: طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700-1830م)، من سجلات المحاكم الشرعية، مذكرة ماجيستير، تاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2005/2004م، ص145.

²فوزي سعد الله: يهود الجزائر المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط02، الجزائر، 2004م، ص277.

³سعد الله: محاضرات...، المرجع السابق، ص15.

⁴فوزي سعد الله: المرجع السابق، ص ص 277-278.

⁵الزبيري، المرجع السابق، ص263.

بخمسة ملايين فرنك، تمّت عبر شركة بكري وبوشناق¹. وحين تولّى الداى حسن مقاليد السلطة (1791م-1798م)، عيّن نبطالي بوشناق مستشاراً له، فأحسن هذا الأخير استثمار موقعه النافذ في إرساء قواعد متينة للشركة الفتية داخل البلاد وخارجها. أمّا في الخارج، فقد فرضت الشركة وجودها في كثير من الدول الأوروبية، وعتبت ممثلين عنها في أهمّ موانئ البحر الأبيض المتوسط، بفضل النفوذ البالغ الذي كان يتمتع به بوشناق لدى الداى، إذ كان يتفاوض باسم الجزائر مع ممثلي تلك الدول، يُسالم من يشاء ويُعلن الحرب على من يشاء، وهو ما أتاح للشركة الهيمنة على أهمّ أسواق الجمهورية².

وتمكّنت هذه الشركة اليهودية من احتكار تجارة الحبوب في عموم البلاد، ولا سيما في الإقليم الشرقي، ثم ما لبثت أن بسطت سيطرتها على الأسواق المالية، فاضطلعت بدور المصارف. وقد شرعت شركة بكري وبوشناق في تصدير منتجاتها إلى مرسيليا منذ سنة 1793م³، وفي عام 1794م تمكّنت من تصدير ما يربو على مليوني فرنك إلى فرنسا، كما استحوذت على جميع الاحتكارات التجارية إثر حلّ الشركة الملكية الإفريقية في السابع عشر من شهر جانفي 1794م وتنازلها عن سائر امتيازاتها، التي آلت لاحقاً إلى الوكالة الإفريقية. غير أنّ هذه الأخيرة اصطدمت بصعوبات وعقبات جمّة، فخلا الميدان أمام بكري وبوشناق. وفي عام 1795م أبرمت مصالح التمويل في باريس اتفاقيةً مع ممثلي الشركة اليهودية لتزويدها بمائتي ألف من حمولة القمح، نصفها بسعر مائة فرنك للحمولة، ونصفها الآخر بسعر مائة وعشرين فرنكاً للقنطار الواحد، أي ما يقارب ثلاثين فرنكاً للحمولة. وفي العام نفسه

¹ عبد الرحمان نواصر: مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقات البلدين في أواخر العهد العثماني، مذكرة شهادة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث، معهد العلوم الإنسانية، المركز الجامعي بغرداية، 2010/2011م، ص75.

² الزبيري: المرجع السابق، ص ص 264-265.

³ حنيفي هلابلي: العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة (1815-1830م)، دار الهدى، ط01، قالمة، 2007م، ص12.

اعترف رسمياً باليهود وتنازلت السلطات عن حقوقها لصالح بكري وبوشناق¹. وقد واصلت الشركة خلال سنتي 1796م و1797م تمويل الجيوش الفرنسية بالقمح، في حين كان مندوبها سيمون أبو قية يضغط في باريس لاستيفاء الثمن، غير أنّ حكومة الإدارة الفرنسية تمادت في التهزّب من مسؤوليتها، متذرّعةً بحجج شتى، من أبرزها أنّ التاجرّين اليهوديّين كانوا في الوقت ذاته يموّنان الإنجليز في جبل طارق، وذلك عشية الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م²، وهو ما عدّ خطراً داهماً على نفوذ فرنسا في حوض البحر الأبيض المتوسط. ومع ذلك، تدخل الداى مجدداً فكتب إلى حكومة الإدارة رسالةً حملها سيمون أبو قية، فنّد فيها جميع الاتهامات، وأكّد ولاء اليهوديّين للأمة الفرنسية.

وقد طلب وزير الخارجية تاليران من بكري أن يزود الجيش الفرنسي بكميات وافرة من القمح والأقمشة والأدوية وغيرها من المواد التي يحتاجها الجيش خلال حملته على مصر سنة 1798م³. وأرسل الداى خطاباً إلى الحكومة الفرنسية مطالباً بتسديد ديونها، غير أنّها لم تستجب لمطالبه، فأعلن الداى الحرب عليها. وكان تاليران مقتنعاً بأنّ صفاء العلاقات بين البلدين لا يتحقّق إلا بتسوية ديون اليهوديّين البالغة 7.942.994 فرنكاً، إلا أنّ فرنسا لم تفّ بسداد ديونها، ويُعزى ذلك إلى وهن العلاقات بين البلدين. وفي السابع عشر من شهر ديسمبر 1801م، أبرمت اتفاقيةً جديدةً بين الجزائر وفرنسا، نصّت في بندها الثالث عشر على تعهّد المواطن ديوتانفيل بتسديد المبالغ المستحقّة للرعايا الجزائريين لدى الحكومة الفرنسية⁴. غير أنّ فرنسا واصلت مماطلتها في قضية الديون، وفي سنة 1802م قُدّر الدين بـ 8.151.000

¹الزبيري: المرجع السابق، ص ص 267-269.

²نواصر: المرجع السابق، ص 76.

³نواصر: المرجع السابق، ص 77.

⁴هلايلي: المرجع السابق، ص ص 50-51.

فرنك. وكان الباشا يُلحّ على الحكومة الفرنسية بسداد ما عليها من ديون، ولكن دون جدوى، فطلّت المسألة معلّقة إلى أن تحوّلت قضية عالقة بين الجزائر والحكومة الفرنسية¹.

وفي عام 1805م ضربت البلاد مجاعة كبرى، وعلى الرغم من قسوة هذا الوضع، ظلّت الشركة تستجلب الحبوب من مختلف أرجاء الإيالة وتصدّرها إلى فرنسا، بدلاً من أن تعين السلطات على توفير الغذاء للسكان. وقد استقرّ هذا السلوك المليشيا فأقدم أحد عناصرها على قتل بوشناق، نتيجةً لسلوكهم واستغلالهم نفوذهم على نحو لا تحدّه ضوابط في الإساءة.

ولمّا قدّم بكري حساباته في اجتماع ديوان البحرية في التاسع والعشرين من شهر فيفري 1816م، قُدّر مبلغ الدين بفوائده بأكثر من اثني عشر مليون فرنك. وفي الثامن والعشرين من شهر أكتوبر 1819م، أبرم اتفاق بين الحكومتين على تصفية الديون، نصّ على أن تدفع فرنسا للتاجرّين ما قيمته سبعة ملايين فرنك، توزّع على أقساط أسبوعية قيمة كلّ منها نحو 583.333 فرنك، تُسدّد ابتداءً من فاتح شهر مارس 1820م، إلا أنّ قضية الديون بقيت معلّقة دون حلّ ناجز².

2. الجذور التاريخية لمسألة الديون وتطوّرها

أ. جذور مسألة الديون

ترتد جذور هذه القضية إلى حقبة قيام الثورة الفرنسية سنة 1789م، وما تلاها من صراع بين الجمهورية الفرنسية والأنظمة الملكية الأوروبية التي لم تتأخّر في التعبير عن عزمها على التضييق على النظام الجديد، خشية انتشار العداء له في المنطقة بأسرها³. وقد أفضى ذلك إلى انهيار الاقتصاد وحلول مجاعة قاسية، إذ صاحب الثورة شدّة واضطهاد سلّطاً على الطبقات الإقطاعية، في ظلّ حصارٍ اقتصاديٍّ وعسكريٍّ فرضته الدول الأوروبية المعادية لها.

¹نواصر: المرجع السابق، ص78.

²هلايلي: المرجع السابق، ص52.

³كمال بن صحراوي: الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، 2008/2007م، ص115.

ومن ثمّ، خصّص المجلس الوطني الفرنسي مبالغ لشراء القمح من الجزائر سنة 1792م¹، إذ نجح القنصل الفرنسي في كسب ثقة الداوي، فحصل على إذنٍ بشحن كمياتٍ ضخمةٍ من الحبوب، وتلقّت فرنسا مبالغ مالية وقروضًا لشراء القمح². وقد عبّر الداوي حسن عن موقف الجزائر آنذاك في رسالةٍ وجهها إلى محافظ العلاقات الخارجية الفرنسية في السادس عشر من شهر أكتوبر 1795م، جاء فيها: «لن نردّ أيّ طلب للجمهورية يكون في متناولنا³، من المواد الغذائية والخيول الجيدة والحبوب وغيرها من المواد الاستهلاكية على اختلاف أنواعها... لأننا نحسّ في حربكم العامة ضدّ هذا العدد الكبير من الدول الأوروبية، ومن المستحيل ألاّ تجابهكم صعوبات في توفير المواد الأولى الضرورية»⁴. وقد استمرّت الجزائر في تموين فرنسا بالحبوب رغم الظروف المالية العسيرة التي كانت تجتازها. وأرسلت فرنسا مبعوثًا جديدًا يدعى دوتشي إلى الجزائر، فأنجز مهمّته بنجاح، إذ منحته السلطات الجزائرية كلّ التسهيلات التي طلبها لشراء الحبوب وغيرها من المواد التي تحتاجها فرنسا، ومن جملة هذه التسهيلات إقراضه خمسين ألف قرش إسباني لدفع ثمن مشترياته، فضلًا عن منح الفرنسيين جوازين جزائريين لنقل تلك الحبوب إلى فرنسا⁵. وعلى الرغم من تراكم الديون على فرنسا، فإنّها طلبت من الجزائر مجددًا اقتراض خمسة ملايين قرش إسباني، فردّ الداوي برسالةٍ مفعمّة بالأسف والاعتذار، مفيدًا بأنّ إمكانات الخزينة الجزائرية لا تسمح بإجابة هذا الطلب لضخامة المبلغ، غير أنّه أوعز إلى الخزانة بأن يضع في يد المبعوث زاكولي مبلغ مائتي ألف قرش، نزولًا

¹ يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2007م، ص120.

² محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث، مكتبة دار الشرق، ط2، بيروت، 1979م، ص135.

³ نواصر: المرجع السابق، ص106.

⁴ مولود قاسم آيت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، ج2، دار الأمة، ط2، الجزائر، 2007م، ص188.

⁵ جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، دار هومة، د.ط، الجزائر، 2010م، ص190.

عند رغبة الفرنسيين¹. وكلّ ذلك كان يجري على حساب مصلحة الجزائر، خصوصاً أنّ الدول الملكية الأوروبية المناوئة لفرنسا قد وقّرت لها كلّ ظروف الرخاء، في حين كانت شركة بكري وبوشناق تستفيد من ارتفاع أسعار الحبوب ومن المنافسة المحتدمة بين التجار الأوروبيين على القمح الجزائري². وعلى الرغم من أنّ السلطات الجزائرية كانت تمنح تراخيص لتصدير الحبوب إلى الفرنسيين، فإنّ وصولها إلى الموانئ الفرنسية لم يكن آمناً. وتُمثّل صعوبات الإمداد التي واجهتها فرنسا خلال سنة 1793م دليلاً بيّناً على حجم المخاطر التي أهدقت بتجارها البحرية. ومع استعداد الجزائر لمنحهم رخصة تصدير الحبوب، بل وتزويدهم بالمال لشرائها، فإنّ نشأة شركة بكري وبوشناق في تلك المرحلة قد جاءت ترحيباً بمصالح الأطراف المعنية: الجزائر، واليهود، وفرنسا. فقد كانت هذه الأخيرة تتلقّى كميات وفيرة من القمح بأمن تامّ، باعتبار أنّ العَلمَ الجزائري يُمثّل حمايةً للسفن المتّجهة إلى مرسيليا، كون الجزائر دولةً محايدةً في الصراع القائم. وقد جنى التجاران من هذه المعاملات، ولا سيّما خلال السنوات الأربع الأولى من تأسيس الشركة، أرباحاً ضخمةً جعلت منها شركةً عملاقةً في غضون سنواتٍ قليلةٍ من نشأتها، في حين لم تتل الجزائر من هذه الوساطة أيّ فائدةٍ تُذكر³.

وقد انتقل يعقوب بكري إلى فرنسا ليفتح فرعاً للشركة في مرسيليا، فانطلقت المعاملات التجارية الفرنسية في غضون سنواتٍ قلائل. وقد سجّلت مصالح الموانئ أول تصريحٍ لسفينة شحنٍ تعمل لصالح بكري وبوشناق في منتصف شهر جويلية 1795م، إذ حظي يعقوب بكري بحُسن استقبالٍ من قِبَل سلطات مرسيليا، وقدمت فرنسا له التسهيلات اللازمة لمزاولة نشاطه. ومنذ ذلك التاريخ شرعت شركة بكري وبوشناق في الصعود والازدهار، إلى أن وقعت القطيعة سنة 1798م. وخلال المرحلة الأولى من حياة الشركة، استقبل يعقوب بكري في ميناء مرسيليا 33 سفينة شحن لحسابه سنة 1795م، ثم 34 سفينة في السنة التالية، قبل أن ينخفض العدد

¹ قنان: معاهدات...، المرجع السابق، ص190.

² نواصر: المرجع السابق، ص107.

³ جمال قنان: العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790م-1830م، منشورات متحف المجاهد، ط خ، الجزائر، 1997م، ص ص 275-276.

إلى 11 سفينة سنة 1797م، ثم إلى خمس سفن سنة 1798م. ويُعزى هذا التراجع إلى شدة الحصار الذي فرضه البريطانيون على التجارة البحرية الفرنسية¹.

علاوة على ذلك، فإن شركة بكري وبوشناق لم تكن المنفذ الوحيد الذي يصل عبره القمح الجزائري إلى فرنسا، ولم يكن دخولها مقتصرًا على ميناء مرسيليا²؛ إذ قُدرت كميات القمح التي صدرت من ميناء عنابة بـ 96 شحنة سنة 1795م، وكان الرسم يُقدَّر بمربعٍ ذهبيٍّ أو بثمانين فرنكًا، وفي السنة نفسها صُدِّر من ميناء وهران 240 ألف صاع من القمح³. وقد نجحت الشركة اليهودية في تحقيق أرباحٍ خياليةٍ وازدهارٍ سريعٍ في ظرفٍ قصيرٍ، فقد أورد جمال قنان مثالًا ملموسًا عن هذا الوضع، إذ كان صاع القمح يُشترى في مدينة الجزائر بسعرٍ يتراوح بين ثلاث فرنكاتٍ ونصف وأربع فرنكاتٍ، في حين يبلغ سعره في فرنسا خمسين فرنكًا، أي إن بيعه يُحقِّق ربحًا صافيًا لا يقلّ عن ثمانية أضعاف ثمن الشراء. ورغم وجود الشركة على الأراضي الفرنسية، فإن الفرنسيين كانوا يكرهون رؤية أيٍّ أجنبيٍّ يستقرّ بينهم بقصد التجارة، خصوصًا إذا امتهن المهنة ذاتها، وهو ما يتعارض مع ما أنتجته الثورة الفرنسية التي ألغت الاحتكار بأشكاله كافة. ومن ثمّ، فإن نجاح التاجرّين اليهوديّين في معاملاتهما في فرنسا كان بمثابة ثغرةٍ في جدار الحصار البحري المضروب على التجارة الفرنسية⁴.

ب. تسييس مسألة الديون

اضطلع كلٌّ من القنصلين جون بون سانت أندري وديبوتانفيل بدورٍ فاعلٍ، يصحّ وصفه بأنّه يخلو من المسلك الأخلاقي القويم، في تسييس هذه المعاملات التجارية مع اليهود، وذلك عبر تلك الحملات والتنديدات التي شنّها على هؤلاء التجار، لإقناع المسؤولين في فرنسا بضرورة معالجة قضية الديون معالجةً سياسية، بوصفها ورقةً تجعلها فرنسا رهنًا بين يديها في

¹ المرجع نفسه، ص ص 276-277.

² نواصر: المرجع السابق، ص 108.

³ خوجة: المصدر السابق، ص 122.

⁴ قنان: العلاقات...، المرجع السابق، ص ص 278-280.

وجه التاجرين بكري وبوشناق، نظرًا لما كانا يتمتعان به من نفوذٍ واسعٍ في الجزائر، وعلى وجه الخصوص لدى الداى، الذي كان يأتُم بِأمرهما ويأخذ بمشورتهما¹.

وقد ارتبطت مسألة الديون بالقنصل جون بون سانت أندري، الذي عمل بإلحاحٍ شديدٍ على تسييسها، فسعى إلى تعطيل مصالح التاجرين عبر مراسلاته مع الداى، حتى إنّه كان يتعمّد تضليله ومدّه بمعلوماتٍ مغلوطَةٍ، مركزًا في مكاتباته على أنّ التاجرين تربطهما علاقات تجارية وتداخل مصالح مع الإنجليز في جبل طارق من خلال تسويق المواد والسلع. ومن جملة ما أدلى به سانت أندري أنّ السلطات الجزائرية قد نزعت الامتيازات الفرنسية لصالح الإنجليز نتيجةً لمساعي اليهوديين، وهو ما حمل الداى على مراسلة السلطات الفرنسية لتكذيب هذا الأمر، مؤكّدًا مجدّدًا أنّ الجزائر مستعدّة لتزويد فرنسا بكلّ ما تحتاجه من الحبوب وغيرها، مقابل أن تُحسِن معاملته اليهود ودفَع مستحقّات سيمون أبو قية وبكري؛ وهو ما يُعدّ المؤشّر الأوّل لما سيغدو لاحقًا «قضية الديون»².

وعلى الرغم من تأكيدات الداى للمديرية التنفيذية في شأن معاملته اليهود معاملَةً حسنةً على نحو ما يُعامل به الرعايا الفرنسيون في الجزائر، فإنّ وضع اليهوديين لم يتحسن، ومع ذلك واصلت الشركة تموين فرنسا بالحبوب³، في حين كان ممثّل الشركة يُلحّ على استيفاء الثمن، غير أنّ القنصل الفرنسي الجديد في الجزائر سانت أندري نصح حكومة بلاده بالألا تدفع الثمن حتى يتّضح نفوذ هؤلاء اليهود⁴. وهو ما دفع وزير الخارجية الفرنسي دولاكروا إلى توجيه رسالةٍ إلى زميله وزير المالية، جاء فيها: «نرجو منكم تأجيل تسديد ديون اليهود، حتى نُجبرهم

¹قنان: معاهدات...، المرجع السابق، ص 190.

²قنان: العلاقات...، المرجع السابق، ص ص 280-282.

³نواصر: المرجع السابق، ص 109.

⁴ وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، تع تق: عبد القادر زيادية، دار القصبّة، دط، الجزائر، 2006م، ص 216.

على التخلّي عن دسائسهم مع الإنجليز الذين يفضّلونهم علينا في سواحل شمال إفريقيا»¹. وعند استقبال القنصل من قبل الداى في منتصف شهر أكتوبر 1797م، قدّم اقتراحًا يقضى بإقناع الداى بضرورة التمييز في هذا الدين بين عنصرين مكوّنين له: الأول هو الدين الذي للخزينة الجزائرية على التاجرّين، والثاني هو مستحقّاتهما على الخزينة الفرنسية، فحكومة بلاده مستعدّة لدفع الجزء الأوّل، أمّا الثاني فلن يُسدّد لهما إلا بعد أن يُصلحا سلوكهما تجاه فرنسا. غير أنّ الداى عارض كلام القنصل قائلاً إنّه لو أبلغه بأفعالهما لأدّبهما في الحين، وأكّد على ضرورة تسديد الدين إلى أصحابه، وأنّه سيسهر من جهته على الحيلولة دون كلّ ما من شأنه عرقلة نشاط الفرنسيين في الجزائر، كما سيضع حدًّا لتدخّل اليهود في شؤون فرنسا. وأكّد الداى بعد هذه المقابلة أنّ القنصل يُشكّل خطرًا على العلاقات بين البلدين، فكاتب المديرية التنفيذية في الثاني والعشرين من شهر أكتوبر 1797م طالبًا إبعاده، إلا أنّ الحكومة الفرنسية أبدت موقفًا منسجمًا مع موقف قنصلها، إذ اتّخذت المديرية التنفيذية قرارًا بالاستيلاء على أملاك رعايا الجزائر وتونس وطرابلس، ومصادرة أملاك العثمانيين في فرنسا التابعة لها². وكان تاليران، وزير الخارجية، حريصًا على إقناع حكومة الإدارة بإقامة علاقات تجارية استراتيجية طويلة الأمد، وإبرام اتفاقية تجارية مع الجزائر، إذ كانت الصفقة بنظره تتجاوز طبيعتها المالية، وستُتيح له القدرة على توجيه الصفقة نحو التآزم واختلاق سائر الذرائع الممكنة، فيما تبقى خاضعةً للمناورات السياسية والدبلوماسية³.

وقد طلب تانفيل من حكومة بلاده دفع تسبيقٍ للتاجرّين لطمأنتهما، مع التنبية إلى ضرورة عدم تصفية ديونهما بكاملها، حتى يبقىا دائمًا في وضع «رهينة» يسهل الضغط عليهما. ومن المؤكّد أيضًا أنّ نيّة القنصل لم تكن صادقةً منذ البداية في ما يتعلّق بالتسوية

¹ أرزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م، دار الكتاب العربي، دط، الجزائر 2011م، ص 123.

² قنان: العلاقات...، المرجع السابق، ص ص 283-284.

³ عفرون محرز: مذكرات ما وراء القبور، تر: الحاج مسعود مسود، ج1، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط الجزائر، 2008م، ص ص 169-170.

التي التزم بها بشأن الإتاوات، إذ أوصى حكومته بعدم تضمينها في إطار الحساب الخاص، بل بدمجها ضمن ديون التاجر¹. ولمّا تولّى مصطفى باشا الحكم خلفاً للداي حسن، بعث برسالةٍ إلى الديكتوار² يُطالب فيها بتسديد مستحقّات الديون القديمة³، كما طالب الداي حسين الحكومة الفرنسية بدفع المبالغ المستحقّة، ولكن دون جدوى. وفي عام 1826م حدّد طلبه في رسالةٍ إلى وزير خارجية فرنسا، أصرّ فيها على إرسال المبالغ المستحقّة، أو ذكر أسباب رفضها لذلك، غير أنّ الداي لم يتلقَ ردّاً مُقنعاً⁴.

ج. تطوّر مسألة الديون بين سنتي 1793م و1830م

ما إن انقضى وقتٌ يسيرٌ على تصدير الشركة اليهودية شحناتٍ من الحبوب إلى فرنسا، حتى طالب التاجران اليهوديان فرنسا بتسديد ديونهما عبر ممثليهما في باريس، غير أنّ القضية ظلّت مجمدةً بحجّة تموين يهود الجزائر للإنجليز⁵. وفي سنة 1795م قُدّر دين فرنسا بمليونَي فرنك، أمّا ديون اليهوديين للجزائر فقد قُدّرت بزهاء 300.000 فرنك، فكتب الباشا مصطفى إلى تاليران يطلب منه أن تدفع فرنسا الدين الذي عليها لرعاياه اليهود، ولكن دون جدوى، إلى أن تحوّلت القضية إلى مسألةٍ مطروحةٍ على مستوى الحكومتين⁶. وقد دفع تماطل الحكومة الفرنسية في تسديد ديونهما الداي إلى التدخّل، فبعث برسالةٍ إلى الحكومة الفرنسية في الثامن عشر من شهر ماي 1797م، جاء فيها: «لكي نُثبت لكم كم نتمنّى توطيد وترسيخ العلاقات

¹قنان: العلاقات...، المرجع السابق، ص119.

² الديكتوار: هو المجلس الأعلى للثورة الفرنسية المتكوّن من خمسة أعضاء يعيّنون الحكومة وقواد الجيش... إلخ. ينظر: مولود قاسم: المرجع السابق، ص138.

³قنان: العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص168.

⁴شوقي عطاء الله الجمل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، مكتبة الأنجلو المصرية، ط01، مصر 1977م، ص256.

⁵فوزي سعد الله: المرجع السابق، ص308.

⁶سعد الله: محاضرات في تاريخ...، المرجع السابق، ص16.

القائمة بين هذه الحكومة والشعب الفرنسي منذ قرنٍ من الزمن، فإننا مستعدون لتموينكم أثناء حربكم بالمواد الضرورية... ونطلب منكم فقط مراعاة حُسن معاملة رعايانا المقيمين عندكم، خاصّةً أسرة بكري وسيمون أبو قية الذي سيتولّى تسليمكم هذه الرسالة، ونحن نعتبر هذه المسألة معروفةً، ونرجو منكم أن تتفضّلوا بتسديد مستحقّات التاجرّين، حتى يتمكّننا من مواصلة نشاطهما»، غير أنّ القضية بقيت على حالها¹.

وعلى الرغم من استمرار الدايات في مطالباتهم بتسديد الديون، ظلّت القضية معلّقة، إذ تمادت حكومة الإدارة في التهرب بحجّة أنّ التاجرّين كانا يمّونان الإنجليز في جبل طارق. وعشيّة الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، تلقّى تاليران تعليماتٍ باستقبال بوشناق وقبول التزامات الديون العائدة على الشركة. وقد قدّم ممثّل المؤسسة اليهودية فاتورةً قيمتها 2.297.415 فرنكًا، مؤكّدًا أنّ خدمات المؤسسة ظلّت غير مدفوعة الأجر لفترةٍ طويلة. فقبل الفرنسيون ذلك خشيةً أن تستقرّ الحملة المقبلة الجزائريين، فيعترضوا مرورها عبر البحر الأبيض المتوسط، وانفقوا على دفع 170.000 جنيهٍ كلّ أسبوعين إلى حين تصفية الديون. غير أنّ هذا الالتزام تعطلّ بسبب الحملة الفرنسية على مصر، وهو ما حمل الداوي مصطفى على إعلان الحرب على فرنسا².

وفور تولّي الداوي مصطفى الحكم، طُرحت مسألة تسديد ديون التاجرّين بالحاحٍ شديدٍ، من خلال رسالةٍ وجّهها الداوي إلى فرنسا سنة 1798م، جاء فيها: «لقد مضى وقتٌ طويلٌ منذ أن تمّ تزويد الجمهورية بالمواد المعيشية التي كانت في أشدّ الحاجة إليها، حيث لم يكن هناك سوى عددٍ قليلٍ من الأفراد الذين يملكون الشجاعة والإرادة لتقديم التسبيقات في تلك الفترة الصعبة، والمخاطرة بأموالهم، وقد آن الأوان لردّ الجميل من طرفكم بدفع ديون بكري

¹شويتام: المرجع السابق، ص124.

²سبنسر: المصدر السابق، ص217.

وبوشناق». وعلى الرغم من هذا الإلحاح، فإنّ فرنسا لم تتزحزح قيد أنملة، واتّخذت موقفًا بتجميد تسديد هذه الديون¹.

وقد اعترفت فرنسا بالمعاهدات المتعلقة بالديون التي عليها للجزائر ثلاث مرّات على الأقلّ بصفة رسمية، وكانت آخرها قد حدّدت قيمة المبلغ بسبعة ملايين، وجاءت هذه المعاهدات على النحو الآتي: اتفاقية مسيدرو في الثامن والعشرين من شهر جوان 1796م بين الداوي حسن والديكتوار والمجلس التنفيذي الأعلى للجمهورية؛ ومعاهدة التاسع والعشرين من شهر ديسمبر 1801م بين الداوي مصطفى ونابليون بونابرت، التي يقول عنها دونمرامون: «رغم أنّ معاهدة 1801م قد أكّدت هذا الحقّ للجزائر، إلاّ أنّه لم يُسدّد منه شيء»؛ وأخيرًا المعاهدة المبرمة بين الداوي حسين ولويس الثامن عشر في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر 1819م. وعنوان هذه المعاهدات في جميع فهارس المعاهدات الدولية الفرنسية هو «الديون الجزائرية»، واتّفق الطرفان بموجبها على أنّ مبلغ هذا الدين هو سبعة ملايين فرنك. ويبدو جليًا من كلّ ذلك أنّ الداوي كان له الحقّ في المطالبة بحقوق الدولة التي يرأسها وعن التي هو مسؤولٌ عنها².

وبعد أن انتهى الوضع القائم في فرنسا واستقرّت الأوضاع هناك بعودة أسرة البوربون إلى السلطة³، طلب الداوي حسين مجددًا من فرنسا تسديد الدين، غير أنّها ماطلت في الردّ عليه، فتوترت العلاقات بين الداوي حسين وفرنسا⁴. وفي هذا الصدد، اقترح تاليران تشكيل لجنة

¹قنان: العلاقات ...، المرجع السابق، ص 286.

²بلقاسم: المرجع السابق، ص ص 208-209.

³نواصر: المرجع السابق، ص 177.

⁴محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، مؤسسة شباب الجامعة، ط 1، مصر، 2000م، ص ص 167-168.

مالية لدراسة قيمة الدين، عُرفت بـ«اللجنة الرباعية»¹. وقد أعدت اللجنة تقريراً نهائياً في أواخر شهر فيفري 1819م استعرضت فيه ما يأتي: أنها حدّدت مكونات هذا الدين، وتتمثّل في تزويد الحكومة الفرنسية منذ سنة 1794م وفي السنوات التي تلتها بالحبوب؛ وقيمة السفن وشحناتها التي استولى عليها الفرنسيون سواءً بصورةٍ شرعيةٍ أو اتفاقيةٍ أو عبر القرصنة في البحر؛ ومختلف القروض المالية التي منحها التجارن للأعوان الفرنسيين خلال السنوات الصعبة التي مرّت بها فرنسا، فضلاً عن الفوائد المستحقّة عن هذه الديون لمدّة تزيد على عشرين سنة. كما أكّدت اللجنة أنّه لا يمكن رفض مطالب التجارن بدعوى سقوط دينهما بحكم القانون، نظراً للمعاهدات القائمة بين البلدين، ولا سيّما معاهدة السابع والعشرين من شهر ديسمبر 1801م، التي ألزمت في بندها الثالث عشر بتسديد هذه الديون. كما حدّدت اللجنة من جهتها مبلغ الدين المعترف به من قبلها بـ 9.750.000 فرنك، وهو مبلغ جزافيّ، وأنقصت منه مجمل التسبيقات التي تسلّمها التجارن، والتي تبلغ نحو مليونين ونصف مليون فرنك، ليبقى في ذمّة الحكومة الفرنسية ما يقارب سبعة ملايين وربع مليون فرنك³. وبعد مداولاتٍ وتدقيقٍ من قبل لجنة المستشارين في ديون اليهوديين، أغلقت الحكومة الفرنسية الحساب بسند⁴ قيمته سبعة ملايين فرنك كحدّ أعلى لهذه الديون، وهو ما يقلّ عن نصف المبلغ الذي حدّده الداوي، ومع ذلك وافق ممثّل الداوي عليه، وانثّق على أن يُدفع على اثني عشر قسطاً تفصل بين القسط والآخر خمسة أيام. وقد جرى التوقيع على هذا الاتفاق في أواخر شهر أكتوبر

¹ اللجنة الرباعية: شكّلت سنة 1819م بغرض دراسة الحساب، وتكوّنت من ثلاثة خبراء فرنسيين. ينظر: عبد الرحمان بن جيلالي: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، ج3، الجزائر، 1994م، ص349.

² يحيى بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع الدول و ممالك اوروبا (1500-1830م)، دار البصائر، ط خ، الجزائر، 2009م، ص128.

³ قنان: العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص ص 306-308.

⁴ أُرجمت كوزان: السياسة العثمانية إزاء الاحتلال الفرنسي، تح: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، دط، تونس، 1970م، ص33.

1819م، وأصدرت الخزينة قرار الدفع به في الرابع والعشرين من شهر جويلية 1820م، وفي الفترة ذاتها سُدِّدت حصص بكري¹.

وقد قَدِّمت الحكومة الفرنسية مشروع القانون المعروض على غرقتي البرلمان، الذي تضمّن عنصرين مميّزين تمحورت حولهما المناقشات المالية، وشمل كلاً من مصالح الداوي ومصالح المؤسسة اليهودية، فضلاً عن التجار الفرنسيين. وفي عام 1820م سُرع في مناقشة التسوية المالية وحماية المصالح الفرنسية، وهو ما كان يُعدّ لديهم مسألةً جوهريةً طغت على المناقشات، إلى جانب حماية مصالح الشركة اليهودية وحلفائها دون سواهم. ووافق الداوي بلا تحفّظٍ على الاتفاقية، التي كان ينتظر من ورائها تسديد تسبيقاته².

وتنصّ هذه الاتفاقية في مادتها الرابعة على الاحتفاظ بالمبلغ الذي سُلم إلى بليفيل، وكيل بكري وبوشناق، إلى حين أن يحصل السيد بليفيل على رفع الحجز من المعنّيين أنفسهم أو من المحاكم، أمّا المبالغ الأخرى فتُسَلَّم في حينها³. وقد قامت فرنسا بحجز مليونين ونصف مليون فرنك، أمّا أربعة ملايين ونصف المليون فقد سُجِّلت على أنّها دُفعت للتاجرين بكري وبوشناق. وبعد استلام هذين الأخيرين، توجّه بوشناق إلى ليفورن وولجأ بكري إلى فرنسا، وكُلف القنصل الفرنسي ديفال بإبلاغ الداوي بأنّ الديون الفرنسية قد سُويت. وهو ما تطرّق إليه من قبل وزير الخارجية الفرنسي دumas في مراسلاته الموجّهة إلى الجزائر، مفيداً بأنّ الديون قد سُويت وفق القانون المتعارف عليه بين الطرفين، وبموجب الاتفاقية المبرمة في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر 1819م⁴.

¹ بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية...، المرجع السابق، ص 128.

² شارل أندري جوليان: تاريخ الجزائر المعاصرة: الغزو وبداية الاحتلال (1827م-1871م)، ج 01، شركة دار الأمة، ط 01، الجزائر، 2008م، ص ص 47-49.

³ الزبيري: المرجع السابق، ص 308.

⁴ ألت: المصدر السابق ص ص 627-628.

ولمّا علم الداى بالمؤامرة، لم يتردّد في اتّهام القنصل بالتواطؤ مع اليهوديّين اللّذين خاننا الداى والخزينة الجزائريّة، وبناءً على ذلك طلب الداى من الحكومة الفرنسيّة سحب قنصلها من الجزائر، وإعادة توجيه اليهوديّين من فرنسا إلى الجزائر، باعتبار أنّهما ليسا وسيطين بين الدولة الجزائريّة والدولة الفرنسيّة¹. كما أرسل الداى حسين باشا رسالةً إلى الحكومة الفرنسيّة يطالب فيها بأن يُدفع إليه شخصياً الدين الذي على بكري ويعقوب، وأن يتولّى هو، لا المحاكم الفرنسيّة، تسديد الديون المستحقّة التي على بكري للدائنين، غير أنّ المسألة ظلّت معلّقة وامتنعت فرنسا عن التسديد².

المبحث الثاني: ظروف ووقائع حادثة المروحة

1. الظروف المهيّئة لحادثة المروحة

شهدت الفترة التي سبقت حادثة المروحة توتّراً حادّاً في العلاقات الفرنسيّة الجزائريّة، أسهمت في تأجيجه جملةً من الحوادث التي شكّلت مؤشّراتٍ على وقوع الحادثة، ومن أبرزها:

- أنّ القنصل ديفال عيّن ابنَ شقيقه ألكسندر ديفال (Alexandre Deval) نائباً للقنصل الفرنسي في عنابة، فأقدم هذا الأخير على بناء منشآتٍ فرنسيّة تمهيداً لتدعيمها بالعسكريين والمدافع في كلّ من القالة وعنابة³.
- أنّ الداى كتب إلى وزير الخارجية دو دماس في 26 من شهر أوت 1826م رسالةً يطلب فيها من الحكومة الفرنسيّة تسوية مسألة الديون، غير أنّه لم يتلقَ أيّ ردّ، بل وصلت سفينةٌ حربيّة بقيادة فلوري كتهديدٍ للداى إزاء تصرّفاته ضدّ فرنسا والفاثيكان. ثم راسل الداى فرنسا مرّةً ثانيةً في شهر أكتوبر 1826م، عبّر فيها عن موقفه من ديفال، فقرّرت الحكومة الفرنسيّة في شهر نوفمبر 1826م الشروع في فرض الحصار على الجزائر، غير أنّ هذا القرار لم يُنفذ

¹ الميلّي: المرجع السابق، ص272.

² إسماعيل أحمد ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع، ط01، السعودية، 1997م، ص256.

³ الجمل: المرجع السابق، ص256.

لعدم قيامه على أسسٍ منطقية، إذ كان من الضروري إيجاد مبررٍ آخر ومحاولة دفع الداى إلى ارتكاب أفعالٍ تنتهك الأعراف الدولية، وقد تولّى هذه المهمة وزير الخارجية دو دماس وديفال¹.

ويؤكد أحد أبرز المؤرخين الفرنسيين، هنري قاروا، أنّه قد طلب من القنصل الفرنسي بالجزائر اغتنام فرصة غياب الأسطول الجزائري في «نافرين»، وافتعال حادثٍ يُسوِّغ غزو الجزائر والاستيلاء عليها².

وبتاريخ الحادي عشر من شهر أبريل 1824م، وجّه دو دماس مذكرةً إلى الملك الفرنسي شارل العاشر، اقترح عليه فيها إرسال أربع سفنٍ حربيةٍ لحصار الموانئ الجزائرية للحصول على تعويضاتٍ عن الأخطاء التي ارتكبتها الداى بحقّ الأسطول³.

2. وقائع حادثة المروحة

تتفق دراساتٌ تاريخيةٌ عديدة، بما في ذلك المصادر الفرنسية، على أنّ الواقعة جرت في التاسع والعشرين من شهر أبريل 1827م. ويبدو أنّ فرنسا كانت قد عقدت العزم على العدوان، فأوحت إلى ممثلها في الجزائر، القنصل ديفال بيير، بأن يستقرّ غضب الداى لإذكاء جذوة الحرب، فأخذ يترقّب فرصةً سانحة، إلى أن جاءت مناسبة عيد الفطر، فتقدّم القنصل لتهنئة الداى بالعيد، وفقاً للعرف المتّبع في مثل هذه المناسبات⁴.

¹ أعمار حمداني: حقيقة غزو الجزائر، تر: لحسن زغدار، منشورات ثالة، ط02، الجزائر، 2008م، ص 50-51.

² أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مؤسسة الأمراء للنشر و التوزيع، دط مصر، 1998م، ص77.

³ بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص122.

⁴ محمد قن: "الداى حسين باشا والأزمة الجزائرية الفرنسية 1827م/1830م"، مجلة التراث، ع25، دت، جامعة الجلفة، ص177.

وفي ظلّ تعدّد الروايات حول ما جرى بين الداوي والقنصل الفرنسي، نسعى إلى تسليط الضوء على ما ورد في رواية الداوي والقنصل بوصفهما صانعي الحادثة، إلى جانب رواية كلّ من حمدان خوجة وسيمون بفايفير بوصفهما معاصرين لها.

فبحسب رواية القنصل، فإنّه قال: «انتقلت رغم ذلك في الوقت المحدّد إلى القصر، ثم أدخلت إلى المقابلة، فسألني الداوي: هل أعلنت إنجلترا الحرب على فرنسا؟ فأجبتّه بأنّها مجرد إشاعة لها صلة بالاضطرابات في البرتغال، التي لا ترغب حكومة الملك في التدخل فيها. فقال الداوي: هكذا إذا تمنح فرنسا للإنجليز كلّ ما يرغبون، وأنا لا شيء! فقلت: يبدو لي يا سيدي أنّ حكومة جلالته منحتكم دائماً كلّ ما في استطاعتها. فقال الداوي: لماذا، لماذا لم يُجب وزيركم على الرسالة التي كتبتها إليه؟ فقلت: كان لي الشرف أن آتيكم بالجواب فور وصوله. فقال: لماذا لم يجبني مباشرة؟ هل أنا قرويّ، رجلٌ من طين، حافٍ؟ أنتم السبب في عدم وصول أيّ إجابة من وزيركم، أنتم أوحيتم له بعدم الردّ، أنت شرير، خائن، فاقد للإيمان. ثم وقف من مكانه وضربني بمقبض مروحته ثلاث ضرباتٍ قويةٍ على جسمي، ثم طلب منّي الانصراف»¹.

وكان حريّاً بـ«ديفال» أن يُقدّم أسباباً وتوضيحاتٍ منطقية، خصوصاً وهو في حضرة رئيس الدولة، غير أنّه فعل عكس ذلك تماماً. وقد جاء جواب الداوي بنوعٍ من الحدة والاستخفاف بحكومة الجزائر، بما لا يلتئم وقواعد البروتوكول العام. ويؤكد الطبيب الألماني بفايفير الحالة التي كان عليها الداوي، إذ قال: «إنّ القنصل أجاب الداوي قائلاً إنّ حكومة القنصل تُفضّل أن تُرسل أسطولها وجيوشها إلى الشواطئ الجزائرية وترفع أعلامها فوقها لتكون عبرةً للداوي، على أن تستجيب لمطالبه. وكان الرجلان، الزهار وبفايفير، يومئذٍ على مقربةٍ من الداوي»².

ومن خلال المقارنة بين الروائيتين، يمكننا أن نلاحظ أنّ القنصل قد تلفّظ بعباراتٍ جارحةٍ هي التي حملت الداوي على ضربه، وهو ما لم يُشر إليه القنصل في رسالته.

¹ حمداني: المرجع السابق، ص70.

² قن: المرجع السابق، ص177.

ومن الملاحظ أيضًا ما ذكره حمدان خوجة، إذ قال: «لقد جرت العادة أن يقوم قناصل الدول الأوروبية المعتمدون لدى الجزائر بزيارة إكرامٍ إلى الداى بمناسبة اليوم الأول من الببير، وقد كان القنصل الإنجليزي والقنصل الفرنسي يتنافسان على الصدارة في هذه المناسبات، ولذلك قرّر الداى أن يستقبل القنصل عشية الاحتفال بيوم العيد بمحضر جميع أعضاء الديوان. وبعد انتهاء الحفل، سأل الباشا القنصل: لماذا لم تُجِب حكومته عن برقياته العديدة الخاصة بمطلب بكري؟ فكان جواب السيد ديفال في منتهى الوقاحة، إذ أجاب: «إنّ حكومتي لا تتنازل للإجابة على رجلٍ مثلك»، وإنّ هذه الكلمات قد مسّت كرامته إلى درجة أنّه لم يتمالك نفسه من الغضب، فضربه بالمروحة ضربةً واحدةً (وهذه المروحة مصنوعةً من سعف النخيل)». وأرجع حمدان جواب القنصل إلى ضعفه في اللغة التركية، إذ قال: «إنّ القنصل لا يُجيد التركية إلا كما أتكلّم أنا اللغة الفرنسية، فلا يعرف معانيها ولا عبقريتها»^{1.2}.

وفي الأخير يمكن القول إنّ قضية الديون وحادثة المروحة كانتا من أبرز الأحداث التي ساهمت في توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية، حيث اتخذتهما فرنسا ذريعة لفرض الحصار على الجزائر، ليتطور الأمر بعدها إلى الحملة العسكرية التي انتهت بسقوط مدينة الجزائر واحتلالها سنة 1830م.

¹خوجة: المصدر السابق، ص142.

²الملحق 03.

الفصل الثالث:

من الحصار البحري إلى احتلال مدينة الجزائر (1827-1830م)

- المبحث الأول: الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية
- المبحث الثاني: سير الحملة ونتائجها
- المبحث الثالث: معاهدة الاستسلام

التحوّل الكبير ثمرًا لتراكمات متشابكة في العلاقات الجزائرية الفرنسية التي تمتد بجذورها إلى حقبة سابقة، أفضت في نهاية المطاف إلى فرض حصار بحري خانق استمرّ نحو ثلاث سنوات، ثم إلى إطلاق حملة عسكرية واسعة النطاق أسقطت الحكم العثماني في الجزائر وأنتهت ثلاثة قرون من وجوده. ولفهم هذه المرحلة الفاصلة فهماً دقيقاً ومتكاملاً، لا بدّ من استعراض فرض الحصار، ثم، دراسة الحملة الفرنسية بكل تفاصيلها، وصولاً إلى معاهدة الاستسلام التي أسدلت الستار على حقبة كاملة من تاريخ الجزائر.

المبحث الأول: الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية:

في أعقاب حادثة المروحة، بادرت الحكومة الفرنسية إلى إرسال سفينة بقيادة القبطان «كولي»، وهو قائد السفينة البرلمانية «البروفانس» (La Provence)¹، فبلغت ميناء الجزائر في الثاني عشر من شهر جوان 1827م، حاملةً مطلبًا فرنسيًا واضحًا تمثّل في دعوة القبطان كولي (Colley) للباشا بأن يحضر بنفسه إلى السفينة لتقديم اعتذاره للقنصل دو فال (Duval)². ولم تكن فرنسا بطلب الاعتذار فحسب، بل سعت من خلال هذه الترضية إلى انتزاع جملة من الامتيازات الخاصة بالإيالة الجزائرية، فضلاً عن استرداد شرفها الذي تعرّض بزعمها للإهانة. وقد لجأت في سبيل ذلك إلى أسلوب التهديد العسكري لفرض مطالبها التي تضمّنت ما يلي³:

. توجهّ الداى حسين بنفسه إلى مقر القنصلية الفرنسية لتقديم اعتذاره.

. رفع العلم الفرنسي على جميع القلاع الجزائرية، وإطلاق مئة طلقة تحيةً له، مع إمهال الداى أربعًا وعشرين ساعة للرد على هذه المطالب.

¹ لابروفانس: هي السفينة البرلمانية التي يركبها لابرو تونير، وصلت إلى ميناء الجزائر يوم 16 جوان 1830م، للتفاوض مع سلطان الإيالة للتوصل إلى حل للأزمة القائمة بين الدولتين، أنظر: خوجة: المصدر السابق، ص 145

² هلايلي: المرجع السابق، ص 80.

³ صالح فركوس: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830 - 1925م)، مديرية النشر لجامعة قالمة، د ط قالمة، 2010م، ص 12.

وقد قوبلت هذه المطالب باستياء عميق في الأوساط الجزائرية كافة، بمن فيهم طبقة الحضر التي رأت في هذا الحصار ردًا فرنسيًا على أعمال القرصنة¹، في حين اعتبره الداوي مجرد خطة مدبرة الغرض منها الضغط عليه وإحراجه².

وقد وجّه الداوي حسين رسالة إلى القنصل دوفال جاء فيها: «لم يُرغمكم أحد على مغادرة الجزائر، وإذا أردتم الاحتفاظ بالشروط القديمة كاملةً فبإمكانكم العودة إلى الجزائر كما خرجتم منها»³.

ونظرًا لتمسك الداوي بموقفه المتصلّب، أعلن كولي الحصار على الجزائر في السادس عشر من جوان 1827م، غير أنّ الداوي صمد في وجه هذا الحصار ولم يستسلم، بل أصدر أوامره إلى الحاج أحمد باي والي قسنطينة بالاستيلاء على المؤسسات الفرنسية الواقعة في عنابة والقالمة⁴.

ولم يتنبّه إلى خطورة هذا الحصار سوى يحيى آغا⁵ الذي بادر إلى تحصين السواحل، فأقام حصنًا مزودًا بأثني عشر مدفعًا في سيدي فرج، وعيّن حراسًا من العسكر الجديد، وجمع لهم المؤن اللازمة⁶.

وقد أسفر هذا الحصار عن انقسام ملحوظ في الأوساط الفرنسية الحاكمة؛ إذ كان كولي من أنصار الحملة والاحتلال، يسانده في ذلك وزير الدفاع كليو موطونير (Cléo)

¹ سعيدوني: ورقات...، المرجع السابق، ص 335.

² فركوس: المرجع السابق، ص 12.

³ شويتام: المرجع السابق، ص 183.

⁴ هلايلي: المرجع السابق، ص 82.

⁵ يحيى آغا: أشهر قائد عسكري عرفته الجزائر في عهد الأغاوات والدايات، شغل منصبه مدة 12 سنة، وكان صاحب فضل كبير على أحمد باي إذ ساعده في تدعيم سلطته في شرق الإيالة، ويُعدّ قتله أكبر خطأ ارتكبه حسين داي في حياته. أنظر: خوجة: المصدر السابق، ص 150.

⁶ هلايلي: المرجع السابق، ص 82.

(Montunier)، في حين رأت الأغلبية من الوزراء أنّ الحصار ليس سوى وسيلة لتأديب الداوي وإجباره على القبول بمطالب فرنسا، إلا أنّ الظروف التي كانت تمرّ بها فرنسا آنذاك جرّاء القضية اليونانية حالت دون تنفيذ المشروع¹.

ولذلك قرّرت فرنسا الاستمرار في الحصار، فعمد الفرنسيون إلى سدّ جميع طرق المواصلات البحرية في وجه الجزائريين، مما أدى إلى نقص ملحوظ في الواردات الأوروبية، وأثار سخط الأهالي بسبب قلّة الكسب².

وفي ظل هذا الحصار الذي امتد ثلاث سنوات، اندلعت معارك بحرية عدّة بين الأسطولين الجزائري والفرنسي، من أبرزها المعركة التي وقعت في الرابع من أكتوبر 1827م، إذ حاول الجزائريون فيها فكّ الحصار العسكري، فجهّزوا إحدى عشرة سفينة حربية مزوّدة بمئتين واثنين وخمسين مدفعًا، وعلى متنها تسعة آلاف ومئتا رجل³.

أما الأسطول الفرنسي فقد تشكّل من أربع سفن وبارجة حربية ضخمة وحرّاقة وسفينة شراعية، وقد هاجمت السفن الجزائرية البارجة الفرنسية في معركة حامية الوطيس⁴.

وبعد أن استمرت المعركة البحرية ساعات عدّة، اضطر الفرنسيون إلى التراجع، وعادت السفن الجزائرية إلى مينائها، وقد لحقت بها خسائر فادحة⁵، كما شمل الحصار جميع الموانئ الجزائرية⁶.

¹ محمد زروال: العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830م، مطبعة دحلب، دط، الجزائر، د س ط، ص 94-95.

² سيمون بفايفر: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تق تعر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 1974، ص 39.

³ هلايلي: المرجع السابق، ص 82.

⁴ بفايفر: المصدر السابق، ص 40.

⁵ سعيدوني: ورقات...، المرجع السابق، ص 336.

⁶ شويتام: المرجع السابق، ص 186.

ونظراً للقصور العسكري وضعف النظام الدفاعي للجزائر، قرّر حسين باشا تخصيص مكافأة مالية قدرها ألف قرش لكل من يستولي على مدفع من مدافع العدو، مستهدفاً من وراء ذلك تحفيز الجزائريين ورفع طاقاتهم ومعنوياتهم للجهاد¹.

وتكرّر الصدام بين الأسطولين الفرنسي والجزائري، غير أنّ الفرنسيين تمكّنوا في الخامس والعشرين من أكتوبر من إغراق أربع سفن جزائرية غرب الجزائر، على الرغم من الحماية التي قدّمتها المدفعية المرابطة في رأس كاكسين. كما أغار الفرنسيون على ميناء وهران ونجحوا في استرجاع إحدى سفنهم اللتين سقطتا في يد الجزائريين، وهي من نوع البريك². وأمام تنامي المعارضة السياسية الداخلية في فرنسا، والتكاليف الباهظة التي خلفها الحصار، إذ تجاوزت في ظرف سنتين مليوني فرنك، قرّرت الحكومة الفرنسية فتح باب التفاوض سنة 1829م، إلا أنّ هذه المساعي باءت بالفشل نتيجة رفض الباشا للتفاوض، وإصراره على ضرورة عقد الصلح أولاً.

وأثناء مغادرة الوفد الفرنسي للمفاوض للجزائر في الثالث من أوت 1829م، تعرّضت السفينة التي كانت تقلّه «البروفانس» لإطلاق نار من التحصينات الجزائرية، وقد أرجع الفرنسيون ذلك إلى شدة الرياح، مما زاد الأمور تعقيداً، رغم أنّ الداي عزل وزير بحريته وأعلن براءته من الحادث³.

وقد أدركت الحكومة الفرنسية في نهاية المطاف عقم الحصار وفداحة الخسائر المالية التي تكبّدها طوال مدته الممتدة من 1827م إلى 1830م⁴.

ثم برزت فكرة أو مشروع محمد علي حاكم مصر، إذ عمل بولنيناك على تحريض محمد علي ضدّ الداي حسين، وطلب من السلطة العثمانية إصدار مرسوم يخوّله السيطرة على

¹ هلايلي: المرجع السابق، ص 84.

² سعيدوني: ورقات...، المرجع السابق، ص 337.

³ سعد الله: محاضرات في...، ص 29.

⁴ شويتام: المرجع السابق، ص 186.

ولايات طرابلس والجزائر، مع تزويده بالمساعدات اللازمة لإنهاء القرصنة. غير أنّ هذا المشروع فشل بسبب التدخّل الإنجليزي، حيث هدّدت بريطانيا محمد علي بإقصائه عن الحكم إن وافق على خطة فرنسا، وبتدمير الأسطول المصري بمجرد خروجه من الميناء، فضلاً عن معارضة الدولة العثمانية التي رأت في المشروع تناقضاً مع مبادئ الدين الإسلامي، ثم تردّد محمد علي في خوض غمار الغزو لأسباب أخلاقية ودينية¹.

وخلاصة القول، إنّ الحصار البحري الذي ضرب على السواحل الجزائرية كبّد الطرفين خسائر مادية كبيرة، ورغم نجاح الجزائريين في اختراقه، فإنّه ألحق بهم عواقب وخيمة وأنهك قدراتهم.

المبحث الثاني: سير الحملة ونتائجها²:

بعد أن تدهورت أوضاع الجزائر، وفي إثر فشل تجربة الحصار الفرنسي على الجزائر التي امتدت ثلاث سنوات، عقدت فرنسا العزم على غزو البلاد بقواتها الخاصة، فأخرجت من الأرشيف التقارير والمخططات التي سبق أن أعدتها، وفي مقدمتها مخطط بوتان الذي وضعه عام 1808م³.

ففي الثلاثين من جانفي 1830م، قرّر مجلس الوزراء الفرنسي تنظيم حملة عسكرية على الجزائر، فعملت فرنسا على تهيئة الرأي العام الفرنسي والأوروبي لتبرير مساعيها من وراء هذه الحملة. وقد وجّه بولنيك⁴ رسالةً إلى جميع الدول في الثاني عشر من ماي 1830م، حدّد فيها أهداف الحملة بقوله: «الأول يتعلق بفرنسا وحدها، وهو الانتقام للكرامة، والثاني

¹ المرجع نفسه: ص 178.

² الملحق 03.

³ شويتام: المرجع نفسه، ص 192.

⁴ بولنيك: تولى رئاسة الوزارة الفرنسية ما بين (1829 - 1830م)، كان متطرفاً في نزعته الملكية، وفي مارس 1830م طالب مجلس النواب بإقالته لكن شارل العاشر حلّ المجالس. أنظر: عبد الكريم الفيلاي:

التاريخ السياسي للمغرب الكبير، ج5، شركة ناسن للطباعة، ط01، القاهرة، 2006م، ص 55

يخصّ أوروبا بأسرها، وهو منع الرق والقرصنة والإتاوات»، وقد لقي هذا التوجّه تأييدًا من معظم الدول الأوروبية، باستثناء إنجلترا¹.

كما أصدر الملك الفرنسي شارل العاشر مرسومًا ملكيًا بتعيين الكونت «دي بورمون» (de Bourmont)² قائدًا عامًا للحملة، والأميرال «دوبيري» (Dobery) قائدًا للأسطول.

علاوةً على ذلك، قدّمت إسبانيا مساعدات وتسهيلات للجانب الفرنسي، حيث سمحت باستعمال موانئها للأسطول الفرنسي، ووضعت تحت تصرفه مستشفى عسكريًا في مدينة ماهون بجزر البليار لمعالجة المصابين والمرضى³.

وقد جرى توزيع المهام على ثلاث فرق قبل انطلاق الحملة، إذ عُيّن بيرترين على رأس الفرقة الأولى، وتولّى لوفاردو قيادة الفرقة الثانية، أما الفرقة الثالثة فأُسندت إلى الدوق ديسكار⁴.

كما ضمّت الحملة هيئةً من المترجمين بلغ عددها نحو أربعين مترجمًا، قدموا من الهياكل القنصلية الفرنسية أو من هياكل الكنيسة والتعليم، نذكر من بينهم: جورج كاروي (Georges Carey) السوري الأصل. كما رافق الحملة عدد من الرسّامين والفنانين، أمثال جين إيزاباي (Jane Isabay). وصاحب الحملة أيضًا مطبعة كان الغرض منها إصدار جريدة في شمال إفريقيا تُعنى بأخبار الحملة والبلاد، أُطلق عليها اسم «إستافيت دلجي» (أي بريد الجزائر)، وقد صدرت طبعتها الأولى في سيدي فرج بتاريخ السابع والعشرين من جوان⁵.

¹ صالح العقاد: المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط06، د. م. ط، 1998م، ص 88.

² دي بورمون: هو قائد الحملة على الجزائر، وقد عُزل بعد سقوط حكم شارل العاشر. انظر: هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر: تق: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، ط02، الجزائر، 2009م، ص 49

³ عباد: المرجع السابق، ص 246 - 247.

⁴ محمد عيساوي، نبيل شريخي: الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830 - 1871م)، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016م، ص 15.

⁵ عباد: المرجع السابق، ص 248.

وضمّ الأسطول في تشكيلته النهائية إحدى عشرة سفينة حربية ضخمة، وثلاثة مراكب مقطوعة، وإحدى وعشرين فرقاطة، وأربع عشرة حراقة، وثلاثاً وعشرين مركباً، وستة زوارق، وثمانية قذافات، وعشر مراكب شحن، مع سبع سفن بخارية للأسطول، فبلغ مجموع المراكب 347 مركباً، إضافة إلى 55 صندوقاً (قوارب مسطحة) لنقل العتاد إلى اليايسة¹. وقد اجتمعت القوات بمعدّاتها في المناطق الساحلية الممتدة من طولون إلى مرسيليا².

أما فيما يتعلق بالاستعدادات الجزائرية، فقد اعتمد الداوي على أسلوب التجسس للوقوف على النوايا الفرنسية ومتابعة تحركاتها، وقد تلقى معلومات من مصادر متعددة عبر الجواسيس الذين كانوا في إسبانيا ومرسيليا وطولون وباريس، الذين خُصّصت لهم مرتبات. وأكدت هذه المعلومات أنّ ثمة استعدادات فرنسية حثيثة للقيام بحملة عسكرية ضد مدينة الجزائر، وأنّ سفن الأسطول ستتوجّه إلى سيدي فرج³.

ورغم المعلومات التي توفّرت لدى الداوي، فإنّه لم يستعدّ على النحو المطلوب للتصدّي لعملية الإنزال، واكتفى بإرسال رسائل إلى البايات وشيوخ القبائل يحذّره فيها من اقتراب نزول القوات الفرنسية، ويأمرهم بالاستعداد، كما أمر باي وهران بتحصين مدينته، وباي قسنطينة بتحصين ميناء عنابة، وأمر كذلك بإحصاء العمال وتعيين قائد على رأس كل فيلق⁴.

¹ شارل أندري جوليان: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، شركة دار الأمة، ط02، الجزائر، 2013م، ص 92.

² شويتام: المرجع السابق، ص 192.

³ سيدي فرج: يقع في الجهة الغربية من مدينة الجزائر على بعد 24 كلم، يتفق المؤرخون أن نزول الفرنسيين به كان يوم 14 جوان 1830م، لقلّة تحصينه، فقد وجدوا فيه مجموعة من الجنود الذين فروا عند رؤية القوات الفرنسية التي رفعت العلم بمجرد اعتلائها الهضبة، وأنّ الفرنسيين أصحاب مشاريع احتلال الجزائر كانوا يهتمون بسيدي فرج وينصحون دولتهم - كما وقع زمن نابليون الأول - بالهجوم عليها من هذه النقطة الحساسة لقلّة تحصينها، ومنهم الضابط الجاسوس بوتان. ينظر: كمال بن صحراوي: معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى منتصف القرن 19، منشورات ألفا للوثائق، ط01، الأردن، 2020م، ص113.

⁴ خوجة: المصدر السابق، ص 149.

وقد أولى الداوي الجهة البحرية اهتمامًا أكبر، إذ كانت الحاميات والمواقع الدفاعية تمتد على الشاطئ من الشرق إلى الغرب، أما الاحتياطات التي اتخذها من جانب البر، فقد اقتصرَت على إضافة بعض المدافع إلى حامية سيدي فرج، وإرسال بضع مئات من الجنود إليها، فضلًا عن إقامة مخازن للحبوب حول المدينة¹.

وأما السبب الذي حدا بالداوي حسين إلى إهمال تحصين منطقة سيدي فرج، فمرده إلى اعتقاده بأنّ الفرنسيين ما يزالون متمسكين بفكرة التفاوض، وأنّ الهجوم سيكون من ناحية البحر على غرار الحملات الأوروبية السابقة².

وقد بلغ عدد الرجال الذين كانوا تحت إمرة الداوي قرابة خمسة وثمانين ألف رجل، منهم ثلاثة عشر ألفًا من بايلك الشرق، وستة آلاف من بايلك الغرب، وما بين ستة عشر وثمانية عشر ألفًا من القبائل، غير أنّ هذه القوات كانت تعاني نقصًا في التسليح والتنظيم وحسن القيادة³، كما أقدم الداوي حسين على عزل يحيى آغا وتعيين صهره إبراهيم آغا الذي عُرف بسيرته الحسنة طيلة شغله هذا المنصب لمدة اثنتي عشرة سنة. وعلى الرغم من علم الآغا إبراهيم بمخطّط الفرنسيين، فإنّه لم يُعدّ شيئًا ولم يتّخذ التدابير اللازمة⁴، حيث يقول حمدان خوجة: «في اليوم الذي نزل فيه الجيش الفرنسي في سيدي فرج، لم يكن تحت تصرّف الآغا إبراهيم سوى 300 فارس، ولم يكن مع باي قسنطينة إلا عدد قليل من الأجناد، وبالي التيطري في المدينة ولم يصل منها إلا بعد أيام من الإنزال»⁵.

وقد توجّه الآغا وأتباعه إلى سيدي فرج، تاركين المركز خاليًا، لا يضمّ سوى عدد قليل من الجنود لحماية الأمتعة، دون أن يكون بحوزتهم أيّ سلاح للدفاع. ويقول حمدان خوجة في

¹ بفايفر "المصدر السابق، ص 64.

² سعد الله: محاضرات...، المرجع السابق، ص 36.

³ عباد: المرجع السابق، ص 254.

⁴ خوجة: المصدر السابق، ص 150 - 151.

⁵ المصدر نفسه: ص 153.

هذا الصدد: «عندئذ اقتتعت أنّ قيادة الجيش أُسندت لرجل لا يعرف الفن العسكري، واعتبرت الإيالة قد ضاعت»¹.

وعلى صعيد آخر، بعد أن أتمّت فرنسا تجهيز عدّتها وعتادها، أمر الملك الفرنسي شارل العاشر بتفتيش القوات البرية والبحرية المرابطة في ميناء طولون قبل توجّدها إلى الجزائر. وفي الوقت ذاته، طبع الفرنسيون بيانًا سرّيًا تكفّل العملاء والجواسيس بتوزيع عدّة نسخ منه في الجزائر، يستهدف إضعاف معنويات الجزائريين، وشلّ طاقاتهم، وإجبارهم على التخلّي عن مساندة حكومة الداى. ومما جاء فيه: «إنّ الفرنسيين جاؤوا إلى الجزائر لتأديب الداى الذي أساء لشرف فرنسا، وليس لاحتلال البلاد»، فطلب من الأهالي الانضمام إلى الفرنسيين والتعاون معهم ضدّ الأتراك، مع التأكيد على احترام مقدّسات وأملاك الأهالي².

وبعد ذلك تأهّب الأسطول الفرنسي للإبحار يوم الحادي عشر من ماي 1830م، انطلاقًا من ميناء طولون العسكري، غير أنّ سوء الأحوال الجوية تسبّب في تأجيل العملية إلى الخامس والعشرين من ماي 1830م. وفي السادس والعشرين من ماي، التقى الأسطول الفرنسي في طريقه نحو الجزائر بفرقاطتين إحداهما فرنسية والأخرى عثمانية، كان على متنها طاهر باشا الذي أرسلته الدولة العثمانية لتسوية الخلاف بين فرنسا والداى حسين، إلا أنّه لم يتمكّن من اختراق الحصار وعُزل في طولون.

وفي الحادي والثلاثين من ماي، استأنف أسطول الحملة طريقه، ولمّا اقترب من رأس كاكسين، وجد أنّ حالة البحر خطيرة لا تسمح بأية محاولة للإنزال، فاضطر إلى تغيير وجهته نحو بالما بميورقة، وتوقّف بها لمدة عشرة أيام³.

وبعد أن تحسّنت حالة الأحوال الجوية، غادر الأسطول الفرنسي جزر البليار ووصل إلى الجزائر يوم الثالث عشر من جوان. وبعد قيامه باستعراض على الساحل الجزائري، توجّه

¹المصدر نفسه، ص 156.

²شويتام: المرجع السابق، ص 198.

³عباد: المرجع السابق، ص 249.

نحو شبه جزيرة سيدي فرج التي كانت تُعدّ نقطة ضعف الدفاع الجزائري¹، ثم شرعت الحملة في إنزال قواتها يوم الرابع عشر من جوان بكل يسر دون أن تتلقّى من الجزائريين أيّة مقاومة تُذكر².

وقد وصف أحمد باي الظروف التي تمّ فيها إنزال القوات الفرنسية بقوله: «إنّ العدو نزل في غرب الجزائر برجاله وفرسانه، ولم يكن أحد يملك الجنود والفرسان لردّه، ولم يكن هناك شخص لمحاربتّه، مما سمح للعدو بأن ينزل ويحفر الخنادق وينصب مدافعه ويحارب المسلمين المشتتّين الذين لا يملكون البارود والذخيرة»³.

لقد كان الداوي على علم بالحملة منذ ستة أشهر، ويعلم بأنّها ستنزل بسيدي فرج، غير أنّه لم يكن يتوقّع الهجوم البرّي، وهذه الثقة المفرطة هي التي جعلته يهمل تحصين هذه المنطقة⁴، حيث يقول حمدان خوجة: «في سيدي فرج لم تحضر المدفعية ولم تُحفر الخنادق، ولم يكن هناك سوى 12 مدفعًا نصبها الآغا السابق يحيى آغا»⁵.

وكانت الفرقة الأولى (فرقة بيرتزين) أوّل الفرق التي بدأت بالنزول إلى البرّ على الساعة الثانية والنصف، ثم نزلت الفرقة الثانية على الساعة الخامسة بقيادة لوفيردو⁶.

وعلى الفور، سارعت القوات الفرنسية إلى احتلال برج طورشيك وضح سيدي فرج، واستولت على اثني عشر مدفعًا. وقام القائد العام دي بورمون بنصب مقرّ قيادته في زاوية

¹ مزيان سعدي: النشاط التنصيري للكاردينال لافيغيري في الجزائر (1867-1892م)، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009م، ص 447.

² سعد الله: محاضرات في... المرجع السابق، ص 35.

³ هلايلي: المرجع السابق، ص 89.

⁴ عباد: المرجع السابق، ص 250.

⁵ خوجة: المصدر السابق، ص 152.

⁶ عباد: المرجع السابق، ص 251.

المرابط سيدي فرج. وعلى بعد كيلومتر ونصف، شكّلت القوات الفرنسية حول سيدي فرج خطاً دفاعياً قوياً ومحكماً¹.

وكان الجيش الجزائري يضمّ سبعة آلاف عسكري وأربعة آلاف متطوّع، غير منظّمين وأسلحتهم محدودة، وقد قدموا من الجزائر وقسنطينة ووهران².

وبعد أن وطئ الفرنسيون أرض الجزائر، حصّنوا منطقة سيدي فرج واتّخذوها قاعدةً عسكرية، انطلقوا منها للتوغّل في المناطق الداخلية، إلا أنّهم اشتبكوا مع الأهالي في عدّة معارك، لعلّ أبرزها معركة سطاوالي التي وقعت في التاسع عشر من جوان 1830م³.

وبينما كان الداوي يستتجد بنوّابه على أقاليم وهران وقسنطينة والтитيري، شرعت الجيوش الفرنسية في حفر الخنادق في سيدي فرج لحماية معسكرها. وبدلاً من أن يبادر الداوي بالهجوم، اكتفى بإقامة معسكر لقواته في سطاوالي على بعد خمسة كيلومترات من سيدي فرج⁴.

وعندما وصلت الإمدادات العسكرية في السابع عشر من جوان 1830م، قسّم إبراهيم آغا قواته إلى ثلاثة أقسام: قسم رابط بين عزون على أسوار المدينة، وقسم عسكر في المنطقة المطلّة على البحر والمرتفعات، أمّا القسم الثالث فاحتفظ به احتياطاً. وفي الثامن عشر من جوان، وقعت مناوشات بين القوات الجزائرية والفرنسية، كبّدت الفرنسيين خسائر فادحة⁵.

وفي التاسع عشر من جوان 1830م، قبل بزوغ الفجر، هاجمت القوات الجزائرية الجيش الفرنسي بهدف قطع المواقع الأمامية عن المعسكر الفرنسي، غير أنّها وجدت صعوبة

¹ أحمد مسعودي: الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها، مذكرة ماجستير، التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2009/2010م، ص 47.

² عمورة: ص 114.

³ شويتام: المرجع السابق، ص 200.

⁴ عمورة: المرجع السابق، ص 114.

⁵ بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 145.

على الجناح الأيمن والوسط، فاضطرت إلى التراجع¹، وعلى الرغم من المقاومة الشرسة التي أبدتها الجزائريون، فإنهم لم يتمكنوا من صدّ الهجوم الفرنسي، وانتهى القتال بانهزامهم واستيلاء الفرنسيين على معسكر سطاوالي.

وقد خلفت هذه المعركة خسائر بشرية كبيرة لدى الطرفين، إذ قُدرت بـ 57 قتيلًا و473 جريحًا في الجانب الفرنسي²، أمّا الجانب الجزائري فقد تراوحت خسائره بين أربعة وخمسة آلاف ما بين قتل وجريح³.

وقد انسحب الآغا إبراهيم في إثر هزيمة سطاوالي، تاركًا وراءه كلّ ما يخصّه من 270 خيمة و60 جملاً نحرها الفرنسيون. ويقول حمدان خوجة في هذا الشأن: «لقد ترك كل شيء؛ الخيم والأعلام وفرق الموسيقى، وجيشًا بأكمله»⁴.

ويشير الزهار إلى أنّ الفرنسيين كان بإمكانهم دخول العاصمة في ذلك اليوم، حيث يقول: «في الغد اشتغل النصارى بخدمة المتارس، ولو شأؤوا لدخلوا مدينة الجزائر في ذلك اليوم، لكنهم يقرؤون العواقب»⁵، وهذا ما أكّده حمدان خوجة بقوله: «لو أنّ دي بورمون سيّر جيوشه في نفس اليوم إلى حصن الإمبراطور لما وجدوا أيّة صعوبة»، غير أنّ الفرنسيين لم يغامروا وانتظروا مدفعية الاقتحام⁶.

¹ عباد: المرجع السابق، ص 254.

² جوليان: تاريخ الجزائر المعاصر، ط2، المرجع السابق، ص 96.

³ عباد: المرجع السابق، ص 255.

⁴ خوجة: المصدر السابق، ص 158.

⁵ الزهار: المصدر السابق، ص 172.

⁶ خوجة: المصدر السابق، ص 151.

وعلى الرغم من انسحاب الآغا إبراهيم وتهاونه، أرسل إليه الداى حسين حمدان خوجة لإقناعه بالعودة إلى قيادة الجيش، فوجده في منزل ريفي، إلا أنه لم يستطع مواصلة مهمته¹.

وبعدما تمكّن حسين باشا من تجميع جيشه، هاجمت القوات الجزائرية قوات دي بورمون بالقرب من سيدي خالف، بين دار السلطان وسطاوالي، غير أنّ الفرنسيين تصدّوا للهجمات وأجبروا قوات الداى على التراجع، فانهارت بسرعة².

ثم أسندت قيادة الجيش إلى باي التيطري مصطفى بومرزاق³، كما استدعى حسين باشا المفتي شيخ الإسلام ابن العنابي⁴ وأعطاه سيفاً وأمره بجمع الشعب للدفاع عن البلاد، غير أنّه لم يكن أهلاً لهذه المهمة، فهو رجل عادل وليس محارباً⁵.

ومن خلال ما تقدّم ذكره، نستنتج أنّ هناك جملة من العوامل والأسباب التي كانت وراء هزيمة الجزائريين، يمكن إيجازها فيما يلي:

. انسحاب القبائل من ميدان القتال، مما أتاح للفرنسيين فرصة الاستيلاء على الذخيرة والخيام، والتي تراوح عددها بين 600 و800 خيمة، إلى جانب المدفعية الجزائرية⁶.

¹ سعد الله: محاضرات...، المرجع السابق، ص 43.

² بوعزيز: الموجز في تاريخ...، المرجع السابق، ص 146.

³ بومرزاق: تولى منصب باي التيطري من 1819 إلى 1830، كان شجاعاً وحازماً، حضر بنفسه على رأس جيش ولايته معركة سطاوالي، وبعد هزيمة سيدي خالف عينه الباشا قائداً للجيش، ولكنه لم يحقق أي نصر. وبعد دخول العدو مدينة الجزائر أعلن بورمون الالتزام بالاتفاق المبرم بين الباشا وبورمون... ينظر: سعد الله: الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 38.

⁴ ابن العنابي: شيخ الإسلام رجل علم وفتوى، كان عادلاً وفاضلاً، ولكنه بعيداً عن أن يكون رجل محارب، وفي مثل هذه اللحظة الحرجة لم يكن من الممكن أن يقود جيشاً ويصدّ عدواً. ينظر: خوجة: المصدر السابق، ص 160.

⁵ عباد: المرجع السابق، ص 255.

⁶ هلايلي: المرجع السابق، ص 94.

. عدم تكافؤ القوة العسكرية بين الطرفين؛ إذ كان الجزائريون يفتقرون إلى الخطط الحربية، وكانت مقاومتهم تعتمد على استخدام الأسلحة التقليدية.

. سوء التسيير وعدم صلابة الاستعدادات الجزائرية العسكرية، المتمثلة في عدم الاعتناء بالتحصينات البرية، وعدم مواجهة الجيش الفرنسي قبل نزوله إلى البر، وإسناد قيادة الجيش إلى صهر الداوي إبراهيم آغا الذي كان يفتقر إلى الخبرة العسكرية والكفاءة الحربية.

وقد تمخّضت عن الحملة الفرنسية على الجزائر نتائج عديدة، يمكن استعراضها على النحو الآتي:

. تجسيد حمدان خوجة لروح المقاومة السياسية، حيث أسّس أول حزب وطني تحت ما يُسمى بحزب المعارضة أو لجنة المغاربة. وقد طالب هذا الحزب السلطات الفرنسية بالتخلي عن الجزائر. ورغم الدور الذي اضطلع به هذا الحزب في إيصال صوت الجزائريين والتعبير عن مطالبهم وغرس روح النضال في وجدانهم، فإن فرنسا اتّهمت زعماءه بالتآمر وقامت بنفيهم¹.

. التوقيع على معاهدة الاستسلام، ودخول الجيش الفرنسي إلى الجزائر، واستيلائه على خزينة الجزائر، إذ كانت خزينة الداوي تتضمن كميات كبيرة من الفضة والذهب والبرونز، تركها في ثلاث قاعات بالقصبة².

. القضاء على السلطة العثمانية السياسية (الداوي) والعسكرية (الإنكشارية)؛ فأما الداوي فقد غادر الجزائر على ظهر سفينة فرنسية متّجهةً إلى نابولي، ثم إلى الإسكندرية³، وأما السلطة العسكرية فقد حُلّ الجيش الإنكشاري الذي كان عدده 5092، وتمّ ترحيل 2500 من الجنود

¹شويتام: المرجع السابق، ص 202 - 204.

² عباد: المرجع السابق، ص 260.

³ سعد الله: محاضرات في...، المرجع السابق، ص 50.

الإنكشاريين يوم الحادي عشر من جويلية 1830م على متن أربع سفن فرنسية إلى آسيا الصغرى، ومن ثمّ القضاء على الحكم العثماني¹.

وما يمكن استخلاصه أنّ فرنسا شرعت في التخطيط لاحتلال الجزائر منذ فترة متقدّمة، ويرجع عدم تحقيق أهدافها إلى قوة أسطول الجزائر وانشغالها بالقضايا الأوروبية التي عرقلت مشاريعها. وتعدّ الحملة الفرنسية على الجزائر الحلقة الأخيرة في سلسلة المشاريع الفرنسية.

المبحث الثالث: معاهدة الاستسلام:

بعد أن تحطّمت قلعة السلطان، دخل الفرنسيون إليها واستولوا على مدافعها، وقد أتاح لهم موقعها المرتفع الإشراف على مدينة الجزائر والقصبة، في حين كان الأسطول الفرنسي في الوقت ذاته يقصف المدينة من ناحية البحر. وعندئذ أدرك الداوي حسين أنّ ساعة الاستسلام قد حانت².

وباستيلاء الفرنسيين على حصن الإمبراطور، أصبحت مدينة الجزائر تحت رحمتهم، فعمّت الفوضى وبدأ السكان في هجرتها³.

وعلى إثر ذلك، جمع الداوي حسين أمناء البلاد ووجهاءها ورجال التشريع، وأخبرهم بالحالة الخطيرة التي بلغت الجزائر، واستشارهم في إيجاد وسيلة مفيدة لمعالجة الوضع، قائلاً لهم: «هل يمكن لنا أن نقاوم الفرنسيين لمدة طويلة أو نسلّم لهم المدينة؟» وذلك بعد إبرام

¹سعد الله: الحركة الوطنية...، المرجع السابق، ص 20.

²شويتام: المرجع السابق، ص 201.

³عمار عمورة: نبيل دادوة، الجزائر بوابة التاريخ: الجزائر الخاصة - ما قبل التاريخ إلى غاية 1962م-، ج2، دار المعرفة، ط01، الجزائر، 2009م، ص 246.

معاهدة تُعرف بمعاهدة الاستسلام¹، فجاء جوابهم بمتابعة القتال، مع احترام رأي الداى إذا كان يفضل وسيلة أخرى².

وشياً فشيئاً، بدأت روح الهزيمة تدبّ في أوصال الجهاز الإداري والجهاز الاجتماعي، وذلك راجع إلى البيان الذي ورّعه الفرنسيون والذي كان له بالغ الأثر على نفسية الجزائريين³. وقد تسبّب البيان الغامض الفارغ في شلّ الطاقة المحاربة، وأثر هذا الأخير على الأشخاص الذين كانوا يسمّون أنفسهم بالمعتدلين، الذين اقتنعوا بأنّ الفرنسيين جاؤوا محرّرين للجزائريين من سلطة الأتراك، وأنّ فرنسا المتحضّرة لا يمكن أن تعدّ بشيء إلا إذا كانت راغبة في تنفيذه⁴.

وقد رحّب يهود العاصمة بالاحتلال الفرنسي، وأظهروا له مشاعر الفرح والسرور، ووضعوا أنفسهم في خدمة المشروع الاستعماري، وتعاونوا في العمل لصالح السلطة الجديدة بعدّة طرق، منها الترجمة ولعب دور الوساطة في المفاوضات ذات الطابع السياسي، وحتى حمل السلاح رغم صعوبة الأمر عليهم⁵.

وقد اجتمع أعيان الجزائر في برج البحرية، وقد ضمّ هذا الاجتماع تجاراً وأصحاب رؤوس أموال، فاتّضح لهم أنّ خسارة المدينة أمر لا مفرّ منه، وأنّ الفرنسيين إذا استولوا على

¹ معاهدة الاستسلام: هي اتفاق بين الكونت دي بورمون القائد العام للجيش الفرنسي وسموه داى الجزائر. ينظر: قنان: معاهدات...، المرجع السابق، ص 349.

² خوجة: المصدر السابق، ص 167-168.

³ هلايلي: المرجع السابق، ص 92.

⁴ سعد الله: محاضرات...، المرجع السابق، ص 45.

⁵ أمال معوشي: "جهود الجزائر وموقفهم من الاحتلال الفرنسي"، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد 05، ع 01، الجزائر، 2021، ص 409.

المدينة عنوةً فإنهم لن يكفوا عن النهب والقتل والسلب، فمن الأحسن في نظرهم تسليم البلاد وفق شروط، لأنّ فرنسا دولة ذات سيادة لن تخالف هذه الشروط بل ستحترمها¹.

ولمّا تيقنّ الداوي حسين أنّ المدينة صارت تحت حكم الفرنسيين، قرّر التفاوض معهم، فأرسل أحد أمناء سرّه²، وهو مصطفى خوجة، إلى دي بورمون (dobermon) على الساعة الثانية زوالاً، ليعرض عليه مشروعاً يتضمّن الشروط التالية:

أ. تنازل الداوي عن كلّ الديون التي له على فرنسا.

ب. قبول تقديم الاعتذار الذي طالبت به فرنسا قبل القطيعة بسبب الإهانة التي لحقت بقنصلها.

ج. إعادة جميع الامتيازات السابقة للتجارة الفرنسية.

د. تعويض نفقات الحرب³.

غير أنّ دي بورمون رفض هذه الشروط، وأبلغ الداوي بضرورة تسليم المدينة بلا قيد ولا شرط، مهدّداً إيّاه بأنّه سيُسرع في قصف القصبّة إن تباطأ الداوي في الاستسلام⁴.

كما أرسل الداوي وفدًا آخر مصحوبًا بالقنصل الإنجليزي، ضمّ كاتبه إلى جانب أحمد بوضربة وحسن بن حمدان بن عثمان خوجة كمترجمين، للاتفاق معه على شروط الاستسلام، غير أنّ مصطفى كان يهدف إلى التفاوض باسم الخزناجي، لأنّه كان عضوًا في المؤامرة ضدّ الداوي⁵.

¹ خوجة: المصدر السابق، ص 169.

² سعدي: المرجع السابق، ص 450.

³ مسعودي: المرجع السابق، ص 126.

⁴ سعدي: المرجع السابق، ص 90.

⁵ هلايلي: المرجع السابق، ص 93.

ويروي الفرنسيون أنه عندما رُفض طلبهم، صاح أحدهم قائلاً: «إذا كان يسرّك يا جنرال أن ترى رأس الداى بين يديك سأذهب الآن للعودة به في طبق»¹.

غير أنّ القائد دي بورمون رفض ذلك، فأجابه بقوله: «ما أتيت من أجل تشجيع الاغتيالات، وإنّما أتيت من أجل خوض الحرب. نعم، سأوافق على اقتراح حسين باشا الذي طلب إبرام معاهدة السلم، وسأرحّب بمشاعره الإنسانية التي دفعت به إلى أن يستعمل هذه الوسيلة لكي يحقن كثيراً من الدماء»².

وقد أملى القائد الفرنسي شروطه التي اضطرّ الداى في الخامس من جويلية 1830 إلى قبولها³، وهكذا تمّ توقيع معاهدة الاستسلام⁴، وهي اتفاقية بين قائد جنرالات الجيش الفرنسي وسمو داي الجزائر. وقد ذكر حمدان خوجة في كتابه بنود هذه المعاهدة وهي كما يلي:

1. تسليم قلعة القصبة وكلّ القلاع الأخرى المتّصلة بالمدينة وميناء هذه المدينة إلى الجيش هذا الصباح على الساعة العاشرة⁵.
2. يتعهّد قائد جنرالات الجيش الفرنسي بأنّه يترك لسمو داي الجزائر خزينته وكذلك جميع ثرواته الشخصية.
3. يستطيع الداى أن ينسحب مع عائلته وثرواته الشخصية إلى أيّ مكان يختار الاستقرار فيه، وما دام مقيماً في الجزائر فإنّه يكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام للجيش الفرنسي، وستقوم فرقة من الحرس بضمان أمنه وأمن عائلته⁶.

¹ سعيدي: المرجع السابق، ص 450.

² خوجة: المصدر السابق، ص 170.

³ الجمل: المرجع السابق، ص 261.

⁴ الملحق 05.

⁵ خوجة: المصدر السابق، ص 59.

⁶ قنان: معاهدات ...، المرجع السابق، ص 350.

4. يتعهد القائد العام لكل الجنود الإنكشاريين بنفس المعاملة ونفس الحماية.
5. سيظلّ العمل بالدين الإسلامي حرّاً، كما أنّ حرية السكان مهما كانت طبقتهم ودينهم وأموالهم وتجارتهم لن تلحقها أيّ ضرر، وستكون نساؤهم محلّ احترام¹.
- وسيتّم تبادل وثائق هذا الاتفاق قبل الساعة العاشرة من هذا الصباح، وسيدخل الجيش الفرنسي حالاً بعد ذلك إلى القصبة، ثم يدخل كلّ القلاع التي حول المدينة، كما يدخل الميناء². وقد دخل دي بورمون القصبة في منتصف نهار الخامس من جويلية، وتموقع هناك. وقد كانت عشرون يوماً كافية لتخريب هذه الدولة التي كان وجودها يُتعب أوروبا. وقد كتب دي بورمون قائلاً: «لقد دفعت فرنسا مقابل إنهاء الداوي 409 قتيلاً و2061 جريحاً، بالإضافة إلى 718 رجلاً ماتوا بفعل الأمراض إلى غاية 31 من شهر أوت»³.
- وعلى الرغم من تصميم الداوي على المقاومة، فإنّ ذلك لم يكن كافياً أمام المؤامرات الداخلية التي كلّفت الداوي نتائج سلبية؛ فلولا الأحقاد والضغائن ما عزل الداوي الآغا يحيى وعوّضه بقائد غير كفاء هو الآغا إبراهيم. وهكذا كان الداوي مغلوباً على أمره، واضطرت الظروف إلى استسلام الأبطال⁴.

وبعدها غادر الداوي مدينة الجزائر على متن سفينة فرنسية تُدعى «جان دارك»، حيث توجه إلى نابولي أولاً، ثم إلى الإسكندرية. وبرحيله، انتهى عهد الإيالة الجزائرية الذي دام أكثر من ثلاثة قرون، ليجد الشعب الجزائري نفسه وحيداً دون حكومة في مواجهة أكبر قوة

¹ سعد الله: المرجع السابق، ص 46.

² خوجة: المصدر السابق، ص 172.

³ عباد: المرجع السابق، ص 299.

⁴ قن: المرجع السابق، ص 184.

استعمارية، مما اضطرّه إلى الاعتماد على نفسه في مواجهة هذا الاحتلال، من خلال مقاومة اتخذت أشكالاً عدّة¹.

خلاصة القول، إن المرحلة الممتدة من عام 1827 إلى عام 1830 شكّلت مساراً تصاعدياً دقيقاً انتهى بسقوط إيالة الجزائر العثمانية في أيدي فرنسا. وقد كانت حادثة المروحة مجرد الشرارة التي أشعلت فتيلاً مُهيئاً مسبقاً بعناية. وقد كشف الحصار البحري ثم الحملة العسكرية عن فجوات عميقة في الجانبين الاستراتيجي والعسكري الجزائري، فرضت في نهاية المطاف توقيع معاهدة الاستسلام التي أنهت ثلاثة قرون من الحكم العثماني في الجزائر، فاتحةً بذلك عهداً استعماريّاً طويلاً ومريراً في تاريخ البلاد.

¹ محمد بوشنافي: الداى حسين وسقوط الإيالة الجزائرية 1818 - 1830م، مجلة العصور، ع 6 - 7، الجزائر، 2005، ص 106.

الخاتمة

وفي الختام دراسة مذكرتنا المعنونة ب: "مسار الأحداث في الجزائر من حادثة المروحة إلى احتلال مدينة الجزائر 1827-1830م" توصلنا إلى جملة من الملاحظات والاستنتاجات نلخص أهمها فيما يلي:

- شهدت الجزائر أواخر العهد العثماني عدم الاستقرار وضعف في كل جوانب خاصة عهد الدايات، وظهرت خلالها الثورات وتمردات ناتجة عن الظروف الاقتصادية الصعبة للبلاد، وإلى جانب تراجع مداخيل الجهاد البحري إضافة إلى الظروف الطبيعية قاسية مثل انتشار الأوبئة والجفاف.... إلخ مما أثر بشكل كبير على النمو السكاني .
- من الناحية الاقتصادية، بقي النشاط الفلاحي يشكل موردا مهما للبلاد، إذ ساهم في تلبية حاجيات السكان رغم فترات القحط، كما شهدت بعض الصناعات التقليدية نشاطا ملحوظا تحت إشراف أمناء تعيينهم السلطة .
- تميزت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بالتذبذب بين التفاهم والتوتر، تبعا للمصالح السياسية والاقتصادية التي سعت فرنسا إلى تحقيقها .
- احتلت التجارة مكانة بارزة في اقتصاد الجزائر خلال تلك الفترة إذ اعتبرت من أهم مصادر الدخل رغم أن جزءا كبيرا منها كانت تحت سيطرة التجارة الأجانب وخاصة اليهود.
- ساهم ضعف نظام الحكم في إيالة الجزائر خلال أواخر العهد العثماني في تمكين بعض التجار اليهود من التغلغل داخل دواليب السلطة، مما سمح لهم بالتحكم في جزء معتبر من التجارة الداخلية والخارجية، وكان لذلك ارتباط مباشر بقضية الديون .
- أدى تنامي نفوذ اليهود وعلاقاتهم بالسلطة إلى نتائج سياسية واقتصادية سلبية انعكست على أوضاع الجزائر ومجتمعها.
- تمكن التجار اليهود من نقل قضية الديون من مجرد خلاف تجاري بين التجار وفرنسا إلى قضية سياسية بين الحكومة الجزائرية والسلطات الفرنسية.
- ظاهرة الديون كانت المحرك الأساسي لكن ليس الوحيد في توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية التي انتهت باحتلال الجزائر سنة 1830 م رغم المساعي الدبلوماسية لإرغام الداي على تقديم الاعتذار ودافع التوصية وما صاحب ذلك من تمويل في الأوساط المحلية والدولية.
- بعض الشخصيات التي لعبت دورا هام في تغلغل وتصعيد هذه الأحداث فطالما ساهم الإنسان في صنع التاريخ (نابليون، بكري، بوشناق، الداي حسين).
- تعد سنة 1827م مرحلة حاسمة في تاريخ إيالة الجزائر، إذ شهدت اندلاع الأزمة مع فرنسا عقب حادثة المروحة الشهيرة، وذلك بعد محاولة الداي تسوية قضية الديون العالقة بين الطرفين.
- استغللت فرنسا حادثة المروحة واعتبرتها إهانة لكرامتها، لتجعل منها مبررا لتصعيد موقفها السياسي والعسكري تجاه الجزائر.

- فرضت فرنسا حصارا بحريا على السواحل الجزائرية بعد حادثة المروحة، واستمر هذا الحصار عدة سنوات بين 1827- 1830 في محاولة لإجبار الجزائر على الرضوخ للمطالب الفرنسي=سية دون اللجوء المباشر إلى الحرب.
- كشف الحصار البحري مدى الضعف الذي وصل إليه الحاكم في الجزائر أواخر العهد العثماني كما مهد الطريق أمام فرنسا للتحضير للحملة العسكرية واحتلال الجزائر سنة 1830.
- تكشف الاستعدادات العسكرية التي قامت بها فرنسا أن نيتها كانت تتجه منذ البداية نحو احتلال الجزائر ولم يكن الأمر مجرد رد فعل على حادثة المروحة كما أدعت .
- سعت فرنسا إلى تنفيذ مخططاتها الاستعمارية في الجزائر من أجل توسيع نفوذها السياسي والعسكري في منطقة .
- عمل الداوي حسين على تعزيز التحصينات الدفاعية للسواحل الجزائرية لاي هجوم فرنسي محتمل .
- اهتمت السلطات الجزائرية بتعبئة السكان وتشجيعهم على المشاركة في الدفاع عن البلاد.
- أقامت القوات الفرنسية معسكرات ومراكز للمراقبة في سيدي فرج لتأمين عملية الانزال وتنظيم تحركات الجيش.
- جاءت معاهدة الاستسلام بعد اشتداد الضغط العسكري الفرنسي على مدينة الجزائر وعجز القوات الجزائرية عن مواصلة المقاومة، وهو ما جعل الداوي يلجا إلى التشاور مع أعيان البلاد، لتتجه طبقة الحضر إلى اعتبار تسليم القصبه الخيار الأنسب لتفادي مواجهة غير متكافئة مع فرنسا قد تؤدي إلى خسائر فادحة.
- بينت الحملة الفرنسية حجم ضعف السلطة الجزائرية في مواجهة الغزو، نتيجة سوء التنظيم وغياب الاستعداد الكافي إضافة على الخطاء التي ارتكبتها الداوي حسين وصهره الآغا إبراهيم مما ساعد القوات الفرنسية على تحقيق اهدافها بسرعة وبأقل الخسائر.
- وفي نهاية هذه الدراسة، يظل موضوع مسار الأحداث في الجزائر من حادثة المروحة إلى احتلال مدينة الجزائر 1827- 1830م من مواضيع التاريخية المهمة التي تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة لفهم مختلف أبعاده وخلفياته، وما هذه الدراسة إلا محاولة متواضعة للإحاطة بأبرز التطورات التي مهدت للاحتلال الفرنسي سنة 1830م.

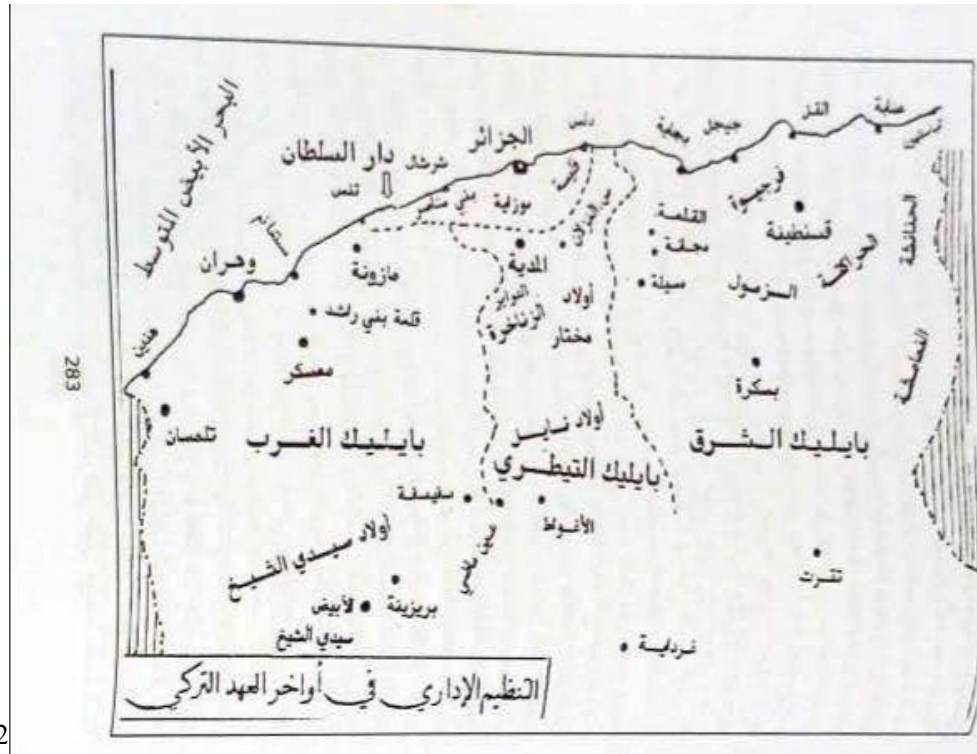
الملاحق

الملحق 01: شخصية الداوي حسين



1

الملحق 02: التقسيم الإداري للجزائر أواخر العهد العثماني

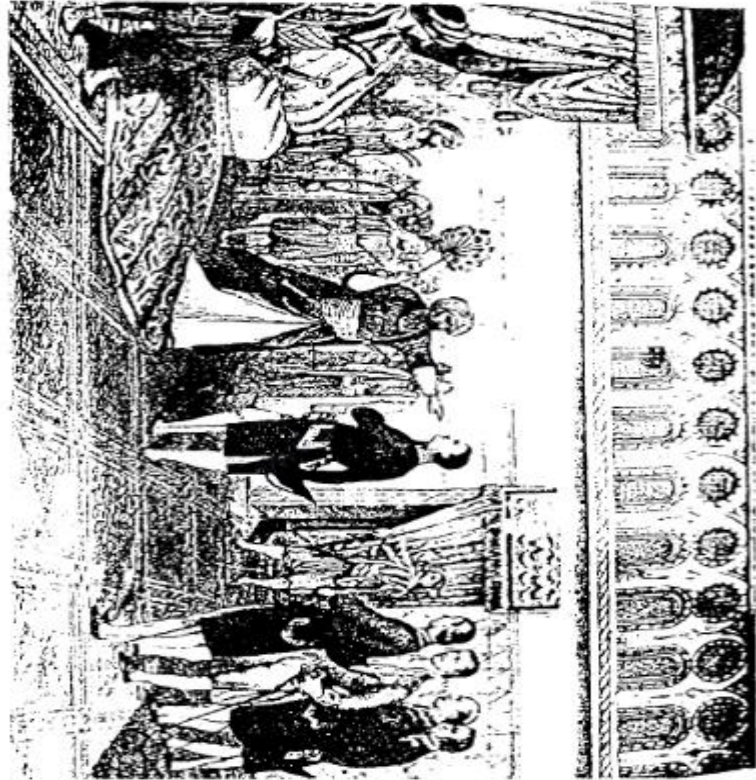


2

¹ آيت بلقاسم: المرجع نفسه، ص 191.

² عباد: المرجع السابق، ص 283.

الملحق 03: صورة تمثل مشهد حادثة المروحة



1

الملحق 04: خريطة توضح مسار الحملة الفرنسية على الجزائر 1830م



2

¹ آيت بلقاسم: المرجع نفسه، ص38.

² المرجع نفسه، ص250.

الملحق 05: معاهدة الاستسلام 5 جويلية 1830م

نسخة

معاهدة بين القائد العام للجيش الفرنسي ، وصاحب السمو داي الجزائر

يسلم حصن القصبة ، وكل الحصون التابعة للجزائر . وميناء هذه المدينة الى الجيش الفرنسي صباح اليوم على الساعة العاشرة (بالتوقيت الفرنسي)

يتمهد القائد العام للجيش الفرنسي تجاه صاحب السمو ، داي الجزائر، بترك الحرية له ، وحيازة كل ثرواته الشخصية

سيكون داي الجزائر حرا في أن ينصرف هو وأسرته و ثرواته الخاصة الى المكان الذي يعينه . ومهما بقي في الجزائر سيكون هو وعائلته تحت حماية القائد العام الفرنسي . وسيتولى حرس ضمان أمنه الشخصي وأمن أسرته

يضمن القائد العام لجميع جند الانكشارية نفس الامتيازات ونفس الحماية

ستبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة ، ولن يلحق أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات ، ولا بدينهم ، ولا بأموالهم ، ولا تجارتهم وصناعتهم . وستكون نساؤهم محل احترام

والقائد العام يلتزم على ذلك بشرفه

وسيتم تبادل هذه المعاهدة قبل الساعة العاشرة ، وستدخل الجيوش الفرنسية عقب ذلك حالا الى القصبة : ثم تدخل بالتتابع كل حصون المدينة والبحرية (1) .

بمسكر قرب الجزائر يوم 5 جويلية 1830
توقيع : الكونت دي بورمون
هنا وضع الداي ختمه
صورة مطابقة للاصل
ليوتنان جنرال - قائد هيئة الاركان العامة
توقيع دسبريز
صورة مطابقة للاصل
محافظ الارشيف بالوزارة الخارجية
ادوار كارتيرون

¹ عبد الحميد زوز: نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900م، موفم للنشر، الجزائر، 2010م، ص ص 69 70.

فهرس الأعلام والأماكن

فهرس الأماكن

الصفحة	الأماكن
-أ-	
14	الأوراس
22	إيطاليا
50	انجلترا
60	اسبانيا
-ب-	
19	بايلك الشرق
19	بايلك الغرب
19	بايلك التيطري
-ت-	
19	تلمسان
-ج-	
16	الجزائر
-د-	
18	دار السلطان
-س-	
57	سيدي فرج
60	سطوالي
-ع-	
24	عنابة
-ق-	
21	قسنطينة
49	القالة
-م-	
19	المدية
30	مرسيليا

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم
-أ-	
56	أحمد باي
63	إبراهيم آغا
68	ابن العنابي
-ب-	
28	بكري
28	بوشناق
59	بولونياك
60	بوتان
-ج-	
38	جون بون سانت أندري
-ح-	
19	حسن بن خير الدين
-د-	
15	الداي حسين
50	ديفال ببير
61	دي بورمون
-ش-	
15	الشريف بن الأحرش
50	شارل العاشر
-ص-	
14	صالح باي
-م-	
41	مصطفى باشا
59	محمد علي
68	مصطفى بومرزاق
-ن-	
44	نابليون بوناپرت
-ي-	
56	يحيى آغا

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر :

- 1- الزهار أحمد الشريف ،مذكرات أحمد الشريف الزهار النقيب أشرف الجزائر تح:التوفيق المدني ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1974.
- 2-ابن ميمون محمد الجزائري ،التحفة المرضية البكداشية في البلاد الجزائر المحمية ،تق ،تح :محمد بن الكريم ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،ط1981،م2.
- 3-بن العنتري محمد صالح ،تاريخ قسنطينة ،ملر ،تق :يحيى بوعزيز ،دار المعارف للنشر والتوزيع ،د ط ،الجزائر ،2009م.
- 4-خوجة حمدان بن عثمان ،المرآة ،تق ،تعر :محمد العربي الزبيري ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،د ط
- 5-سبنسر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر ،تع تق :عبد القادر زيادية ،دار القصبه د ط، الجزائر ،2006م.

ثانيا :المراجع:

- 1-ألتر عزيز سامح الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية،تر :محمود علي عامر دار النهضة العربية للطباعة والنشر،ط1،بيروت 1989م ط ،الجزائر ،2006م.
- 2-آيت قاسم مولود بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبته العالمية قبل 1830، ج 2،دار الأمة ،ط02،الجزائر ،2007م.
- 3-أرجمنت كوزان، السياسة العثمانية إزاء الاحتلال الفرنسي،تح:عبد الجليل التميمي ،منشورات الجامعة التونسية ،د ط ،تونس ،1970م.
- 4-بلاح بشير ،تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989،دار المعرفة ، ج 1 ،د ط الجزائر ، 2006م.
- 5-بوعزيز يحيى ،علاقات الجزائر الخارجية مع الدول ومماليك اوروبا(1500-1830)،دار البصائر ،ط خ ،الجزائر ،2009م.

- 6- بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 2، الجزائر 2009م،
- 7- بوعزيز يحيى، مدينة وهران عبر التاريخ، دار المعرفة ، د ط، الجزائر ، 2009م.
- 8- بفايفر سيمون ،مذكرات أو لمحو تاريخية عن الجزائر ،تق تعر: أبو العيج دودو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د ط ،الجزائر ، 1974م.
- 9- تشرشل هنري ،حياة الأمير عبد القادر ،تق :أبو قاسم سعد الله ،عالم المعرفة ط2،الجزائر، 2009م.
- 10- جيلالي عبد الرحمان، تاريخ المدن الثلاث عبر الجزائر ،المدية ومليانة ،شركة دار الأمة ، ط 1،الجزائر ، 2007م.
- 11- جيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ط ، ج 3، الجزائر ، 1994م.
- 12- جوليان شارل أندري ،تاريخ الجزائر المعاصرة :الغزو وبداية الاحتلال (1827- 1871)، ج 1، شرملة دار الأمة ، ط 1،الجزائر ، 2008م.
- 13- جوليان شارل أندري ،تاريخ الجزائر المعاصر ، ج 1، شركة دار الأمة ط 2،الجزائر ، 2013م.
- 14- زبيري محمد العربي ،التجارة الخارجية للشرق الجزائري ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د ط ،الجزائر ، 1972م.
- 15- زروال محمد ،العلاقات الجزائرية الفرنسية (1791-1830)، مطبعة دحلب ، د ط ،الجزائر، د س ط.
- 16- زوزو عبد الحميد: نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900م، موفم للنشر، الجزائر، 2010م
- 17- سعد الله ابو القاسم ، الحركة الوطنية (1830م-1900م)، دار الغرب الإسلامي ط 01 ، ج 01، بيروت ، 1992م .
- 18- سعد الله ابو القاسم ،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج 1، دار الغرب الإسلامي ط 02، بيروت ، 1996م

- 19- سعد الله ابو القاسم ،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الإحتلال الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،ط3، الجزائر ،1982م
- 20- سعيدوني ناصر الدين و المهدي بوعدلي ،الجزائر في تاريخ العهد العثماني ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،د ط ،الجزائر ،1984م
- 21- سعيدوني ناصر الدين ،ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،دار البصائر ،الجزائر ،ط2 ،2008م.
- 22- سعيدوني ناصر الدين ، النظام المالي في الفترة العثمانية (1800-1830)،المكتبة الوطنية للنشر ،د ط ،الجزائر ، 1979م
- 23- سعيدوني ناصر الدين ،النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني (1792-1830)،البصائر للنشر والتوزيع ،ط3،الجزائر ،2012م.
- 24- سعدي مزيان ،النشاط التصيري للكردينال لا فيجيري في الجزائر (1867-1892)،وزراء المجاهدين ،الجزائر ،2009م
- 25- شوتيام أرزقي ،نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل إنهياره 1800-1830،دار الكتاب العربي ،ط1،الجزائر ،2011م
- 26- عمورة عمار ،نبيل دادوة ،الجزائر بوابة التاريخ:الجزائر الخاصة -ما قبل التاريخ إلى غاية 1962،ج2،دار المعرفة ،ط1،الجزائر ،2009م.
- 27- عفرون محرز،مذكرات ما وراء القبور ،تر: الحاج مسعود مسود ، ج1،دار هومة للطباعة والنشر ،الجزائر ،2008م.
- 28- المليي مبارك بن محمد الهيلالي ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،مكتبة النهضة الجزائرية ،د ط،الجزائر ،1964م.
- 29- الجمل شوقي عطا الله ،المغرب العربي الكبير في العصر الحديث : ليبيا ، تونس الجزائر ،المغرب ،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط01،مصر ،1977م.
- 30- السيد محمود ،تاريخ دول المغرب العربي (ليبيا ،تونس،الجزائر ،المغرب موريتانيا)،مؤسسة شباب الجامعة ،د ط ،مصر ،2000م.
- 31- الفيلاي عبد الكريم ،التاريخ السياسي للمغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ،مكتبة الأنجلو مصرية ،ط6، د.م.ط ،1998م.

- 32- المدني أحمد توفيق ،حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492-1792م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د ت ط .
- 33- المدني أحمد التوفيق ،هذه هي الجزائر ،مؤسسة الأمراء للنشر والتوزيع ، د ط ، مصر ،1998م
- 34- عباد صالح ،الجزائر خلال العهد التركي 1514 -،دار هومة للطباعة والنشر ، د ط ،الجزائر ،1984م
- 35- عمار عمورة ،موجز في تاريخ الجزائر ، دار الريحانة ، ط 1،الجزائر ،2002م
- 36- حمداني عمار ،حقيقة غزو الجزائر ،ترجمة لحسن زغدار ،منشورات ثالة ط2،الجزائر 2008م.
- 37- عيساوي محمد ،نبيل شريخي،الجرائم الفرنسية في الجزائر أثناء الحكم العسكري (1830-1871)،مؤسسة كنوز للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2016م.
- 38- غطاس عائشة و آخرون ،الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها،منشورات المركز الوطني للدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، د ط،الجزائر ،2007م
- 39- قنان جمال ، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619- 1830، د ط ،الجزائر،2010م.
- 40- قنان جمال،العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790-1830،منشورات متحف المجاهد،ط خ،الجزائر ،1997م.
- 41- فوزي سعد الله ، يهود الجزائر المجهولون ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ط 02 ، الجزائر ،2004م
- 42- فارس محمد خير ، تاريخ الجزائر الحديث ،مكتبة دار الشرق ،ط02 ،بيروت 197،
- 43- فركوس صالح،محاضرات في تاريخ الجزائر والمعاصر (1830-1925)،مديرية النشر لجامعة قالمة،د ط ،قالمة ،2010م.
- 44- هلايلي حنفي ، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة (1815-1830)،دار الهدى ،ط01،قالمة ،2007م.

45- ياغي إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث ،مكتبة العبيكان للنشر والتوزيع ،ط1،السعودية،1997م.

-المراجع الفرنسية:

-EISENBETH,MAURICE:LES JUIFS EN ALGÉREI ,DEPUIS LES ORIGINES JUSQU'à NOS JOURS ,extrait de l'encycolopédie coloniale et maritime,paris,1882

ثالثا: رسائل ماجستير ودكتوراه:

- 1-بن صحراوي كمال ، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ،جامعة معسكر ،2007-2008م.
- 2-طوبال نجوى ،طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر (1700-1830)،من سجلات المحاكم الشرعية ،كدكرة ماجستير ،تاريخ الحديث ،جامعة الجزائر ،2004م/2005م.
- 3-غطاس عائشة ،الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ج1التاريخ الحديث ،إش : مولاي بلحميسي ، جامعة الجزائر ،200م-2001م
- 4-مسعودي أحمد ،الحملة الفرنسية على الجزائر والمواقف الدولية منها(1792-1830) رسالة ماجستير التاريخ الحديث ،جامعة الجزائر ، قسم التاريخ ، 2009/2010م
- 5-نواصر عبد الرحمان ،مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقات البلدين في أواخر العهد العثماني ،مذكرة الماجستير في تخصص التاريخ الحديث ،معهد العلوم الإنسانية ، المركز الجامعي بغرداية ،2010/2011م.

رابعا:الدوريات والمجلات :

- 1-المشهداني مؤيد محمود حمد ورمضان سلوان رشيد، "أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830،مجلة الدراسات التاريخية والحضارية ،مج 5،ع 16 أبريل 2013 ،جامعة تكريت .

- 2- بوشنافي محمد ،"الداي حسين وسقوط الأيالة الجزائرية 1818-1830"،مجلة عصور ،عدد 6-7،الجزائر ،2005م.
- 3- جحطان بو عبد الله ،"المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية 1814-1818"،مجلة العصور ،العدد 34-35، جوان 2017م.
- 4- صديقي بلقاسم وبن يطو عبلة، "الإدارة المركزية والإقليمية بالجزائر العثمانية 1519-1830"، مجلة المفكر ، جامعة أبو قاسم سعد الله مخبر المخطوطات وجامعة زيان عاشور ، ع 01، 2024/05/28م.
- 5- كعوان فارس ،"المصطلحات الإدارية العثمانية في الجزائر مصطلحات الباشا الدنوش ،البايلك كنماذج"،مجلة مدارات تاريخية ،جامعة محمد لمين دباغين ،ع خاص سطيف ،2019/04/30م.
- 6- قن محمد ، "الداي حسين باشا والأزمة الجزائرية الفرنسية 1827-1830م"، مجلة التراث ،ع 25، د.ت ،جامعة الجلفة
- 7- معوشي أمال ، "جهود الجزائر وموقفهم من الاحتلال الفرنسي" ،المجلة التاريخية الجزائرية ،المجلد 5،عدد 1،الجزائر ،2021م.
- 8- شيخ فطيمة ،"الداي حسين باشا آخر شخصية عثمانية تحكم الجزائر"،مجلة الحوار المتوسطي ،جامعة سيدي بلعباس ،العدد 09،سيدي بلعباس ،2015/09م.
- 9- يوسف صوهورة ،"مكانة وظيفة آغا العرب في إدارة إيالة الجزائر أواخر العهد العثماني" ،كجلة الواحات للبحوث والدراسات ،جامعة باجي مختار ،ع 2، عنابة ،2022/12/14م.

خامسا: المعاجم والقواميس:

- 1- بن صحراوي كمال ،معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال حتى منتصف القرن 19 (شخصيات أماكن ،أحداث ، معارك) ALPHA DIC ، ب د ط ، الأردن 2020.

فهرس المحتوى

3	كلمة شكر
4	الإهداء
7	مقدمة
12	الفصل الأول: أوضاع الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي
13	المبحث الأول: الأوضاع السياسية والإدارية في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي
13	الأوضاع السياسية:
16	الأوضاع الإدارية:
19	المبحث الثاني: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية
19	الأوضاع الإقتصادية:
22	الأوضاع الإجتماعية:
25	الفصل الثاني: مسألة الديون و حادثة المروحة 1827م
26	المبحث الأول: مسألة الديون
26	1. دور اليهوديين بكري وبوشناق في قضية الديون
26	أ. التعريف بكري وبوشناق
27	ب. تأسيس الشركة ودورها في مسألة الديون
30	2. الجذور التاريخية لمسألة الديون وتطورها

- أ. جذور مسألة الديون 30
- ب. تسييس مسألة الديون 33
- ج. تطوّر مسألة الديون بين سنتي 1793م و1830م 36
- المبحث الثاني: ظروف ووقائع حادثة المروحة 41
1. الظروف المهيّئة لحادثة المروحة 41
2. وقائع حادثة المروحة 42
- الفصل الثالث: من الحصار البحري إلى احتلال مدينة الجزائر (1827-1830م) 45
- المبحث الأول: الحصار البحري الفرنسي على السواحل الجزائرية: 46
- المبحث الثاني: سير الحملة ونتائجها: 50
- المبحث الثالث: معاهدة الاستسلام: 60
- الخاتمة 66
- الملاحق 68
- فهرس الأعلام والأماكن 72
- قائمة المصادر و المراجع 74
- فهرس المحتوى 81

المخلص

يتناول هذا البحث مسار الأحداث في الجزائر من حادثة المروحة سنة إلى احتلال مدينة الجزائر 1827-1830 وهي مرحلة تاريخية مهمة شهدت تدهور العلاقات بين الجزائر وفرنسا وتزايد الأطماع الاستعمارية الفرنسية فقد استغلت فرنسا حادثة المروحة كذريعة لفرض الحصار على الجزائر ثم التحضير لحملة عسكرية واسعة بهدف احتلالها. كما عرفت تحضيرات عسكرية فرنسية كبيرة انتهت بإنزال القوات في سيدي فرج سنة 1830 في وقت كانت فيه الجزائر تعاني من ضعف داخلي خلال أواخر العهد العثماني نتيجة تراجع السلطة المركزية والصراعات الداخلية ورغم من محاولات أدى إلى سقوط مدينة الجزائر يوم 5 جويلية 1830 وبداية الاحتلال الفرنسي الذي دام أكثر من قرن.

THIS RESEARCH EXAMINES THE COURSE OF EVENTS IN ALGERIA FROM THE FAN INCIDENT OF 1827 TO THE OCCUPATION OF ALGIERS [1827-1830], A SIGNIFICANT HISTORICAL PERIOD THAT WITNESSED THE DETERIORATION OF RELATIONS BETWEEN ALGERIA AND FRANCE AND THE INCREASE OF FRENCH COLONIAL AMBITIONS, FRANCE EXPLOITED THE FAN INCIDENT AS A PRETEXT TO IMPOSE A BLOCKADE ON ALGIERS AND THEN PREPARE FOR A LARGE-SCALE MILITARY CAMPAIGN AIMED AT OCCUPYING IT. EXTENSIVE FRENCH MILITARY PREPARATIONS CULMINATED IN THE LANDING OF TROOPS AT SIDI FERRUCH IN 1830, AT A TIME WHEN ALGERIA WAS SUFFERING FROM INTERNAL WEAKNESS DURING THE LATE OTTOMAN PERIOD DUE TO THE DECLINE OF CENTRAL AUTHORITY AND INTERNAL CONFLICTS, DESPITE ATTEMPTS TO RESIST, THIS LED TO THE FALL OF ALGIERS ON JULY 5, 1830, AND THE BEGINNING OF THE FRENCH OCCUPATION, WHICH LASTED FOR MORE THAN A CENTURY.